عبد الجبار دولة

دروس من الحياة

مع الأديب علي الطنطاوي

أفكار في الصميم

دار وحي القلم

مكتبة
مؤمن قريش

دروس من الحياة

مع الأديب علي الطنطاوي

دروس من الحياة

مع الأديب علي الطنطاوي

الطبعة الأولى: 1436 هـ ـ 2015م

جميع الحقوق محفوظة

قياس القطع: 14 × 21 سم

عدد الصفحات: 160

الرقم المعياري الدولي: 978-9933-501-49-5

دار وحي القلم

أسّسها:
سليم محمد دولة
سنة 2002م

الكتب التي تصدر عن الدار تعبّر عن آراء واجتهادات أصحابها.

هدفنا...

تعميم القراءة المفيدة وتدعيم الكتابة.
وحي القلم تستقبل تآليف الكتّاب والمفكرين المبدعين وتشجع إمكانات التفكير وفرص النشر.

دمشق ـ هاتف: 2218526 11 963+
بيروت ـ تلفاكس: 857444 1 961+
جدة ـ تلفاكس: 6608904 2 966+
جوال: 218143 500 966+
جوال: 3637580 50 966+
ص.ب: 4523 دمشق ـ سوريا
البريد الإلكتروني:
wahe_alkalam@yahoo.com
wahe_alkalam@hotmail.com

دروس من الحياة

مع الأديب علي الطنطاوي

أفكار في الصميم

عبد الجبار دولة

دار وحي القلم

تستقبل تآليف الكتّاب والمفكرين المبدعين وتشجع إمكانات التفكير وفرص النشر.

تجمع بين الأصالة والحداثة، وتستوحي إصداراتها من وحي الواقع، من وحي التجربة والممارسة، ومن رصد ما يُدبر لهذه الأمة ويُراد بها.

يعنيها جديد الإبداع الذهني الذي يُشِعُّ صورة الإسلام النقية في واقع يغصُّ بالأزمات والنكبات التي تستهدف الأمة في دينها وتراثها وأخلاقها.

تتقدم ـ بمعونة الله تعالى ـ نحو عالم كتابي من نوع آخر ـ وضمن خطة تعميم القراءة وتدعيم الكتابة والأخذ بيد القراء الأكارم ـ وقد أخذت الدار على نفسها استقبال الأسماء التي تحمل العناوين المضيئة الموضحة ضمن خطتها.

تدرك أننا جميعاً في دار الممر، لذا عليها أن تنير لنا السبيل إلى دار المقر بأمن وأمان ويسر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المدير العام

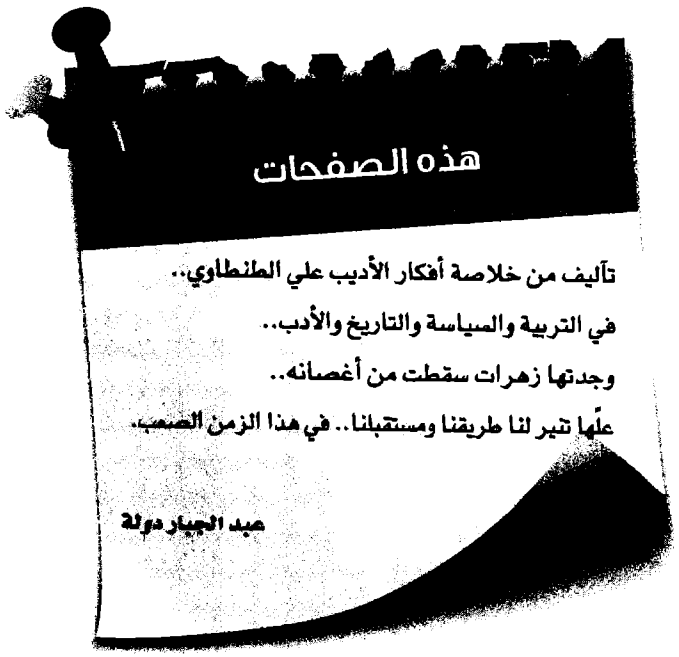
هذه الصفحات
تآليف من خلاصة أفكار الأديب علي الطنطاوي..
في التربية والسياسة والتاريخ والأدب..
وجدتها زهرات سقطت من أغصانه..
علّها تنير لنا طريقنا ومستقبلنا.. في هذا الزمن الصعب.
عبد الجبار دولة

المقدمة

أعجوبة من أعاجيب عصره؛ علماً وحكمة، وعقلاً وذكاء، وبياناً وفصاحة، وطرفة نادرة، وثقافة غنيّة موسوعيّة، وذاكرة قويّة، وقدرة على إيصال المعلومة للآخرين بأسلوب جميل ينفرد به... **وهو قارئ مدمن، وعصامي حقيقي**، وقد جعلته عصاميته مع الزمن نسيجاً متميزاً، إنّه عصاميّ في طلب الرزق، وعصاميّ في تحصيل العلم، وعصاميّ في الأداء والبلاغ المبين، وعصاميّ في المكانة التي احتلّها عن جدارة، وكان بها محلّ التقدير والإجلال من الكثيرين من العلماء، والدعاة، والأدباء.

إنّه علي بن مصطفى الطنطاوي، وُلد في مدينة دمشق **في 12 حزيران 1909م**، لأُسرة ذات علم ودين. أصله من مدينة طنطا في مصر حيث انتقل جده محمد بن مصطفى في أوائل القرن التاسع عشر إلى دمشق، وكان

عالماً أزهرياً حمل علمه إلى ديار الشام فجدّد فيها العناية بالعلوم العقلية ولا سيّما الفلك والرياضيات.. أمّا أبوه الشيخ مصطفى فكان من العلماء المعدودين في الشام، انتهت إليه أمانة الفتوى في دمشق. وكان مديراً للمدرسة التجارية في دمشق، ثم ولي منصب رئيس ديوان محكمة النقض عام 1918م إلى أن توفي عام 1925م.وأُسرة أمّه أيضاً من الأُسر العلمية في الشام، كثير من أفرادها من العلماء المعدودين ولهم تراجم في كتب الرجال.. خاله محبّ الدين الخطيب الكاتب الإسلامي الكبير الذي استوطن مصر وأنشأ فيها صحيفتي (الفتح) و(الزهراء) وكان له أثر في الدعوة فيها في مطلع القرن العشرين. تلقى علي الطنطاوي دراسته الابتدائية الأولى في العهد العثماني، فكان طالباً في المدرسة التجارية، ثمّ في المدرسة السلطانية الثانية وبعدها في المدرسة الجقمقية، ثمّ في مدرسة حكومية أخرى إلى سنة 1923م حيث دخل مكتب عنبر الذي كان بمثابة الثانوية الوحيدة في دمشق ومنه نال البكالوريا سنة 1928م.

ثم ذهب إلى مصـر ودخل دار العلوم العليـا، ولكنّه لم يتمّ السنة وعاد إلى دمشـق في السنة التالية فدرس الحقوق فـي جامعتها حتـى نـال الليسـانس سـنة 1933م. كان علي الطنطاوي من الذين جمعوا في الدراسـة **بين طريقي التلقي على المشايخ**، والدراسـة في المدارس النظامية، فقد تعلّم في هذه المـدارس إلى أن تخـرّج من الجامعـة. وكان يقرأ معهـا على المشـايخ علـوم العربيـة والعلـوم الدينيـة على الأسلوب القديم.

عندما عـاد الطنطاوي إلى الشـام دعا إلـى تأليف لجان للطلبـة على غـرار تلـك التـي رآها في مصـر فألّفـت لجنة للطلبة سمّيت (اللجنة العليا لطلاب سورية) وأُنتخب رئيساً لها وقادها نحواً من ثلاث سنين. وكانت هذه اللجنة بمثابة اللجنـة التنفيذية للكتلـة الوطنية التـي كانت تقـود النضال ضد الاستعمار الفرنسي لسورية. ابتدأ الطنطاوي التدريس في المدارس الأهلية في دمشـق وهو في الثامنة عشـرة من عمره، وقد طُبعت محاضراته التـي ألقاها على طلبة الكلية الوطنية فـي دروس الأدب العربي عن (بشّـار بـن برد) في

كتاب عام 1930م بعد ذلك عُيّن معلماً ابتدائياً في مدارس الحكومة سنة 1931م حين أغلقت السلطات جريدة (الأيام) التي كان يعمل مديراً لتحريرها، وبقي في التعليم الابتدائي إلى سنة 1935م.

كانت حياته في تلك الفترة سلسلة من المشكلات بسبب مواقفه الوطنية وجرأته في مقاومة الفرنسيين وأعوانهم في الحكومة. عام 1936م انتقل الطنطاوي للتدريس في العراق، فعُيّن مديراً في الثانوية المركزية في بغداد، ثمّ في ثانويتها الغربية ودار العلوم الشرعية في الأعظمية، **ولكن روحه الوثابة وجرأته في الحق فعلا به في العراق ما فعلا به في الشام**، فما لبث أن نُقل مرة بعد مرة، فعلَّم في كركوك في أقصى الشمال، وفي البصرة في أقصى الجنوب. وبقي يُدرّس في العراق حتى عام 1939م، لم ينقطع عنه غير سنة واحدة أمضاها في بيروت مدرّساً في الكلية الشرعية فيها حتى عام 1937م ثم رجع إلى دمشق فعُيّن أستاذاً معاوناً في مكتب عنبر، ولكنّه لم يكفّ عن مواقفه التي سبّبت له المتاعب، فنُقل إلى

مدرسة دير الزور سنة 1940م، ولبث فيها فصلاً دراسياً أُبعد بعدها قسرياً بسبب خطبة حماسية ألقاها في صلاة الجمعة ضدّ المستعمر الفرنسي.

عام 1941م دخل الطنطاوي سلك القضاء، فعُيّن قاضياً في النبك مدّة أحد عشر شهراً ثم قاضياً في دوما (من قرى دمشق)، ثمّ قاضياً ممتازاً في دمشق مدّة عشر سنوات فمستشاراً لمحكمة النقض في الشام، ثم مستشاراً لمحكمة النقض في القاهرة أيام الوحدة مع مصر، وقد اقترح الطنطاوي يوم كان قاضياً في دوما وضع قانون كامل للأحوال الشخصية فكُلف بذلك عام 1947م، وأوفد إلى مصر مع عضو محكمة الاستئناف الأستاذ نهاد القاسم (الذي صار وزيراً للعدل أيام الوحدة) فأمضيا تلك السنّة كلها هناك حيث كُلّف هو بدرس مشروعات القوانين الجديدة للمواريث والوصية وسواها. **وقد أعدّ مشروع قانون الأحوال الشخصية كلّه وصار هذا المشروع أساساً للقانون الحالي في سورية** وكان القانون يخوّل القاضي الشرعي في دمشق رياسة

مجلس الأوقاف وعمدة الثانويات الشرعية، فصار الطنطاوي مسؤولاً عن ذلك كلّه خلال العشر سنين التي أمضاها في قضاء دمشق، فقرر أنظمة الامتحانات في الثانويات الشرعية، وكان له يدّ في تعديل قانون الأوقاف ومنهج الثانويات، ثمّ كلّف عام 1960م بوضع مناهج الدروس فيها فوضعها وحده بعدما سافر إلى مصر واجتمع فيها بالقائمين على إدارة التعليم في الأزهر واعتمدت كما وضعها. **انتقل الطنطاوي عام 1963م بعد إعلان حالة الطوارئ في سورية إلى المملكة العربية السعودية** ليعمل مدرّساً في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية في الرياض، ومنها انتقل إلى مكّة للتدريس فيها ليمضي فيها، وفي جدّة خمساً وثلاثين سنة.

بدأ الطنطاوي هذه المرحلة الجديدة في حياته بالتدريس في كلية التربية بمكّة، ثمّ لم يلبث أن كُلّف ببرنامج للتوعية الإسلامية، فترك الكليّة وراح يطوف على الجامعات والمعاهد والمدارس في أنحاء المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات. وتفرّغ للفتوى يجيب

على أسئلة وفتاوى الناس في الحرم في مجلس له هناك أو في بيته ساعات كل يوم. ثم بدأ برنامجيه (مسائل ومشكلات) في الإذاعة، و(نور وهداية) في التلفزيون اللذين قدّر لهما أن يكونا أطول البرامج عمراً في تاريخ إذاعة المملكة وتلفزيونها. يعتبر الطنطاوي من أقدم المحاضرين الإذاعيين في العالم العربي، إذ بدأ يحاضر في إذاعة الشرق الأدنى من يافا من أوائل الثلاثينات، ومن إذاعة بغداد سنة 1937م، ومن إذاعة دمشق سنة 1942م لأكثر من عقدين متصلين، وأخيراً من إذاعة المملكة وتلفزيونها نحواً من ربع قرن متّصل من الزمان.

نشر الطنطاوي أول مقالة له في جريدة عامة في عام 1926م، ولم ينقطع عن النشر في الصحف منذ ذلك التاريخ، فشارك في تحرير مجلتي خاله محبّ الدين (الفتح) و(الزهراء) حين زار مصر عام 1926م، ثمّ كتب في جريدة فتى العرب ثمّ في (ألف باء) ثمّ كان مدير تحرير (الأيام) التي أصدرتها الكتلة الوطنية سنة 1931م. وخلال ذلك كان يكتب في (الناقد) و(الشعب) وسواهما

مـن الصحـف، وفـي سـنة 1933م أنشـأ الزيـات المجلة الكبـرى (الرسـالة) فـكان الطنطـاوي واحـداً مـن كتابها واستمرّ فيها عشرين سنة إلى أن احتجبت سنة 1953م.

وكتب في مجلة (المسـلمون) و(النصر) وفي مكّة كتب في مجلة (الحـج) وفي جريدة (المدينة)، ونشـر ذكرياته في (الشرق الأوسط) على مدى نحو خمس سنين. وله مقالات متناثرة في عشرات الصحف والمجلات التي كان يعجز هو نفسه عن حصرها وتذكر أسمائها.

شـارك الطنطاوي في طائفـة من المؤتمـرات منها حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدتها جامعة الدول العربية في دمشق في عهد الشيشـكلي، ومؤتمر الشعوب العربية لنصرة الجزائر، ومؤتمر تأسـيس رابطة العالم الإسلامي واثنين من المؤتمرات السـنوية لاتحـاد الطلبة المسـلمين فـي أوروبا، **وأهم مشـاركة له كانت في المؤتمر الإسـلامي الشـعبي في القدس عـام 1953م والذي تمخضت عنه سـفرته الطويلة في سـبيل الدعاية لفلسـطين**، وقـد جاب فيهـا باكسـتان والهند والملايو وإندونيسيا.

لما جاوز الطنطاوي الثمانين من عمره وبدأ التعب يغزو جسمه آثر ترك الإذاعة والتلفزيون واعتزل الناس إلّا قليلاً من المقرّبين يأتونه في معظم الليالي زائرين، فصار ذلك له مجلساً يطلّ من خلاله على الدنيا، وصار منتدًى أدبياً وعلمياً تبحث فيه مسائل العلم والفِقه واللغة والأدب والتاريخ. وفي الثامن عشر من حزيران عام 1999م. توفي علي الطنطاوي في جدّة، ودفن في مكّة في اليوم التالي بعدما صُلّي عليه في الحرم المكّي الشريف.

يعدّ الشيخ علي الطنطاوي أحد رموز الدعوة الإسلامية الكبيرة في العالم العربي وشخصية محبّبة ذائعة الصيت نالت حظاً واسعاً من الإعجاب والقبول، وله سجل مشرف في خدمة الإسلام والمسلمين.

رُزق الشيخ الطنطاوي خمساً من البنات، وقد كان لفقد إحداهنّ (بنان) وقد اغتالتها يد الإرهاب الآثم في مدينة آخن الألمانية أكبر الأثر في نفسه، ولكنّه احتسبها عند الله. وتمسّك بالصبر والتسليم بقضاء الله.

ختاماً:

إنّ الشيخ علي الطنطاوي كان عدّة رجال في رجل، فهو: أستاذ، وخطيب، ومربي، وفقيه، وقانوني، ومؤلف، وأديب، وقاضٍ، وقَصَّاص، ومسرحي، وصحفي، ورحّالة، وناقد، وداعية، وراوية، وساخر، ثم **هو أحد شهود العصر.. النادرين** الذين تابعوا (بوعي وإحاطة) تغيّر الدول واختلاف الحكّام منذ نهاية الدولة العثمانية حتى وفاته.

فالشيخ رحمه الله لم يكن تاجراً وشتان بين عالم الأفكار وعالم الأموال وما تكراره لفكرة وتبنّيه لقضية بشكل متكرر إلّا كحال طبيب يُعرض عليه عدة أشخاص في أزمنة مختلفة وقد أصابهم ذات الداء، أفلا يكرّر لهم في كل مرة ذات الدواء الناجح!

المراجع:

- مجلة المجتمع: تراجم، تاريخ: 15/ 7 / 2006م.
- علي الطنطاوي، ذكريات ج1، دار المنارة للنشر، 1985م.

ـ الشيخ الأعجوبة علي الطنطاوي: د. حيدر الغدير، 7/ 5/ 2012م (مقالة).

(جميع المواضيع في هذا الكتاب هي بتصرف: أي اخترتُ منها ما أُريد ولم أنقلها حرفياً وعدّلت فيها لإيصال الفكرة).

في الحب...

من حرَّم الكلام في الحبّ...؟

والله الذي أمال الزهـرة على الزهرة حتى تكـون الثمرة، وعطـف الحمامة علـى الحمامـة حتى تنشـأ البيضـة، وأدنى الجبل مـن الجبـل حتـى يولـد الـوادي، ولـوى الأرض في مسـراها على الشـمس حتى يتعاقب الليل والنهار، هو الذي ربط بالحب القلب بالقلب حتى يأتي الولد.

ولـولا الحبّ مـا التـفَّ الغصن علـى الغصن فـي الغابة النائية، ولا عطف الظبي على الظبية فـي الكناس البعيد، ولا حنـى الجبل علـى الرابية الوادعـة، ولا أمدَّ الينبـوع الجدول الساعي نحو البحر.

ولـولا الحـبّ مـا بكـى الغمـام لجـدب الأرض، ولا ضحكت الأرض بزهر الربيع، ولا كانت الحياة...

ما في الحبّ شيء، ولا على المحبين سبيل، إنّما السبيل على من ينسى في الحبّ دينه، أو يضيع خلقه، أو يهدم رجولته أو يشتري بلذّة لحظة في الدنيا عذاب ألف سنة في جهنم...

ويا ليت الشبان يعودون إلى الحبّ، فتقلّ هذه الشرور، ويخفّ هذا الفساد. ولكن أنّى يكون الحب، مع هذه الشهوات المتسعّرة..؟

إنها إذا لم تطمر الفحمة في بطن الأرض دهراً، لا تصير ألماساً، وإذا لم تدفن الشهوة في جوف القلب عمراً، لا تكون حُبّاً[1].

■ (صور وخواطر، ص 209 ـ 210)

---

(1) إن الحب هو سبب السلام والسكينة، ولولا الحب لما استمرت الحياة... هي دعوة للحب الصادق الذي لا يعرف مصلحة ولا أنانية، الحب الذي لا يميز بين شاب صغير أو رجل طاعن في السن.

الحبّ والجمال

كـم قال الشـعراء، وكـم كتبَ الكتَّـاب في الحـبّ، فهل أحاطوا بمعاني الحب، هل أدركوا أسرار الجمال..؟

هذه الكلمة المؤلفة من حرفين اثنين: الحاء التي تعبّر عن الحنان، والباء السـاكنة التي ترى الفم وهو ينطق بها مجموع الشفتين كأنه متهيء لقُبلة..!

هل تحيط كلمة الحبّ بكل أشكال الحبّ..؟

الأمّ تحـبّ ولدها، وهـذا يحبّ مـن الشـعراء البحتري، والثالث يحـبّ من البلاد مكّة، والرابع يحـبّ ركوب البحر، والخامس يحبّ الفول المدمّس بالزيت لا السـمن... وقيس يحبّ ليلى، أفهذا كله حبّ واحد..؟

وحبّ الله الذي هو جوهر الإيمان أترونه يشبه ما ذكرت من أنواع الحبّ؟

والجمال..؟ جمـال الطبيعـة، وجمال البلاغـة، وجمال الشـيخ الوقور، وجمال المرأة الحسناء، هل هو جمال واحد أيضاً..؟

لا.. فكل له طعم، وكلّ له لون، وكلّ من نوع[1].

■ (ذكريات علي الطنطاوي الجزء الأول، ص 110)

(1) الحـب كلمة تعطـي انطباعـات عن شـخصية ومـزاج قائلهـا وعـن قراراته وحريته واختياراته، ويختلف الحب باختلاف أنواعه. والأمثلة كثيرة...

ماذا يريد العاشقون..؟

سلوا الشعراءَ يحلفوا لكم، أنهم لا يطلبون إلّا نظرة تروي الغليل، وبسمة تطفي الجوى، وأن يندمج بها، ويفنى فيها، فهو يعانقها (والنفس بعدُ مَشُوقة إليها)، ويضمُّها وهو يحسّ أنّه لا يزال بعيداً عنها، وهو لو استطاع لعصرها مصّاً، ولأكلها عضّاً...

يمضي عمره بعيداً عنها، خالياً قلبه من حبّها، لا يدري بوجودها، ثم يراها مرّة واحدة؛ ينظر إليها نظرة، فيحسب أنه قد عرفها من الأزل، وأنّه لم يفارقها ساعة، ويقسم أنها ما خُلقت إلّا له، ولم يُخلق إلّا لها، ولا يعيش إلّا لها وبها، فهما روح في جسدين هي هو، وهو هي، ينظر بعينيها، ويسمع بأذنيها، ويجوع ببطنها، فإن أكلت شبع، وإن شربت

رويَ، وإن سُرَّت ضحك، وإن تألّمت بكى، وإن أصابها الصُداع وجعَه رأسه...

يطرب وهو بعيد عنها إن سمعت نغماً عذباً، ويبتسم وهو في أعماق منامه إن رأت في منامها حلماً حلواً.

يتّبع هواها على القرب والبعد، ويُؤثِر رضاها في الغيبة والحضور، ويطيعها إطاعة لو أنّ العباد أطاعوا ربّهم مثلها لأقفرت من أهلها جهنّم. يسهر الليل كلّه يتقلّب على فراش السُهْد من الشوق إليها، والخوف منها، والطمع فيها، ويُعد الكلام الطويل ليقوله لها، فإذا لقيها نسي ما كان أعدّه من هَيْبتها، إن تكلّم لا ينطق بغير حديثها، وإن سكت لم يفكّر إلّا فيها، قد جهل كل طريق كان يعرفها إلّا طريقها...

يرضى منها بالقليل الذي لا يُرضي، إن بسمت فكأن قد بسم له الدهر، وواتَته الأماني، وإن كلَّمَته كلمة، فكأنّ قد صبَّت في روحه الحياة، وإن وعدته بقبلة، عاش دهره يذكر الوعد ويتعلَّل بذكراه.

يعاف لحبّها طعامه وشرابه، ويهجر راحته ومنامه، والمجد يزهد فيه ولا يباليه، والدين يتركه والمال لا يفكر فيه، وإن هو ابتغى المعالي يوماً فإنّما يبتغيها ليسرها ويرضيها...

فيا رحمتا للعاشقين، مما تقول العواذل[1].

■ (صور وخواطر، ص 214 ـ 216)

(1) العشق حالة عاطفية يكون فيها القلب سيد الموقف، ولا مكان للعقل هنا، لذلك يصل العاشق إلى مرحلة يتصور المحبوبة كل شيء في حياته، وأنها سبب وجوده وغاية وجوده، إن العشق كالخمر يغيّب العقل.

الحب والزواج

سألتني «الأيام»[1] مرّة عن الحبّ والزواج فأجبت إن الله خلق في الإنسان غريزتين، غريزة لبقاء ذاته، وغريزة لبقاء نوعه، فبالأولى يسوقه لذع الجوع إلى ابتغاء الطعام ليدفع بالشبع الموت عن نفسه، وبالثانية يسوقه وقدُ الشهوة إلى الاقتراب من الأنثى، ليمنع بالنسل الانقراض عن جنسه...

وما الحبّ (مهما زخرفه الشعراء وزوقه الأدباء) إلّا رغبة في الاتصال الجنسي لم تجد طريقها، إن الحبّ العذري الشريف حديث خرافة لا تروج سوقه إلّا على المجانين والشباب..

إنّ الحبّ جوع نفسي، فهل يستطيع الجوعان أن يحكم على جودة الطعام؟

---

(1) هي جريدة «الأيام» التي كانت تصدر في الشام، وفيها نُشر السؤال عن الحبّ والزواج.

فلا يصحّ أن يبنى الزواج على الحبّ وحده... إلّا إن صحّ أن تُبنى العمارة الضخمة على أساس من الملح، في مجرى الماء...

إنّما يُبنى الزواج على التوافق في التفكير والسلوك والوضع الاجتماعي والحالة المالية، **وبعد هذا كله تأتي العاطفة**، فينظر إليها وتنظر إليه، فإن ألقى الله في قلب كلّ منهما الميل إلى الآخر صار هذا الميل مع الزواج حبّاً هادئاً مستمراً، وإن أحسّا نفرة أو عزوفاً أغنى الله كلا منهما عن الآخر[1].

■ (مع الناس، ص 52 ـ 55).

(1) من أراد أن يتزوج فعليه أن يقرر بعقله أولًا...
ولكي تستمر الحياة الزوجية فمن الضروري أن تُبنى على الدين والخلق والتقارب في الحالة الاجتماعية والاقتصادية، ومن ثم يفسح المجال للعاطفة في الاختيار.

غزل الفقهاء

قال لي شيخ من **المشايخ المتزمتين**، وقد سقط إليه عدد من الرسالة، فيه مقالة لي في الحبّ:

مالك والحبّ، وأنت شيخ وأنت قاض، وليس يليق بالشيوخ والقضاة أن يتكلموا في الحبّ، أو يعرضوا للغزل..؟!

فضحكت، وقلت له:

أما قمت مرّة في السحر، فأحسست نسيم الليل الناعش، وسكونه الناطق... وجماله الفاتن، فشعرت بعاطفة لا عهد لك بمثلها، ولا طاقة لك على وصفها..؟

أما سمعت مرة في صفاء الليل نغمة عذبة، من مغنّ حاذق قد خرجت من قلبه، فهزّت منك وتر القلب، ومسّت حبّة الفؤاد..؟

أما خلوت مرّة بنفسك تفكّر في الماضي فتذكّر أفراحه وأتراحه فوجدت فراغاً في نفسك، فتلفت تفتش عن هذا الماضي الذي ذهب ولن يعود؟

أما قرأت مرّة قصة من قصص الحبّ، أو خبراً من أخبار البطولة فأحسست بمثل النار تمشي في أعصابك، وبمثل جناح الطير يخفق في صدرك؟

أما رأيت في الحياة مشاهد البؤس؟ أما أبصرت في الكون روائع الجمال؟ فمن هو الذي يصوّر مشاعرك هذه...؟

كل أولئك المشاعر يعيشون مع الجسد والعقل[1].

■ (من غزل الفقهاء، ص 5 ـ 6).

---

(1) إن النفس البشرية مجبولة على الخير والحب، والإحساس بالجمال، ولا فرق في ذلك بين شاب أو شيخ أو عالِم أو فقيه.
لقد خلقنا الله وأمرنا أن نتأمل في ملكوته وفي خلقه، وجعل لكل منا القدرة على وصف الجمال، فلا حرمة في ذلك، والله هو خالق الجمال وإليه يرجع كل شيء جميل في هذا الكون.

السعادة

إنّا نحسب الغنى بالمال وحده، وما المال وحده..؟

ألا تعرفون قصة الملك المريض الذي كان يُؤتى بأطايب الطعام، فلا يستطيع أن يأكل منها شيئاً، لمَّا نَظر من شباكه إلى البستاني وهو يأكل الخبز الأسمر بالزيتون الأسود، يدفع اللقمة في فمه، ويتناول الثانية بيده، ويأخذ الثالثة بعينه، فتمنى أن يجد مثل هذه الشهية ويكون بستانياً؟

فلماذا لا تُقدِّرون ثمن الصحة؟ أمَا للصحة ثمن..؟

أما تعرفون قصة الرجل الذي ضلّ في الصحراء، وكاد يهلك جوعاً وعطشاً، لما رأى غدير ماء، وإلى جنبه كيس من الجلد، فشرب من الغدير، وفتح الكيس يأمل أن يجد فيه تمراً أو خبزاً يابساً، فلمّا رأى ما فيه، ارتدّ يأساً، وسقط إعياءً.

لقد رآه مملوءً بالذهب..!

لماذا تطلبون الذهب وأنتم تملكون ذهباً كثيراً؟ أليس البصر من ذهب، والصحة من ذهب، والوقت من ذهب، فلماذا لا نستفيد من أوقاتنا؟ لماذا لا نعرف قيمة الحياة؟

إنه الصحة والوقت والعقل، كلّ ذلك مال، وكلّ ذلك من أسباب السعادة لمن شاء أن يسعد.

وملاك الأمر كله ورأسه الإيمان، الإيمان يشبع الجائع، ويدفئ المقرور، ويغني الفقير، ويُسَلِّي المحزون، ويُقوِّي الضعيف، ويُسَخِّي الشحيح، ويجعل للإنسان من وحشته أنساً، ومن خيبته نُجْحاً.

إنكم سعداء ولكن لا تدرون، سعداء إن عرفتم قدر النعم التي تستمتعون بها، سعداء إن عرفتم نفوسكم وانتفعتم بالمخزون من قواها، سعداء إن سددتم آذانكم عن صوت الديك، ولم تطلبوا المستحيل، سعداء إن طلبتم السعادة من أنفسكم لا مما حولكم.

سعداء إن كانت أفكاركم دائماً مع الله، فشكرتم كل نعمة، وصبرتم على كل بَليَّة، فكنتم رابحين في الحالين، ناجحين في الحياتين[1].

■ (صور وخواطر، ص 16 ـ 20).

(1) السعادة تنبع من أعماق النفس البشرية، ولقد خلقنا الله على أحسن صورة، فالصحة سعادة، والقوة سعادة، والعقل سعادة، والحواس سعادة، ثم يأتي بعد ذلك المال والجاه والسلطان، ومن يتفكَّر في خلق الله، وفضل الله، يعيش كل لحظات عمره في سعادة وطمأنينة.

أمي وأبي

إني أكتب اليوم عن أمي، ولكن كلّ واحد منكم سيقرأ فيه الحديث عن أمّه هو.

فمن قعد يقرأ هذه الكلمات وله أم فليتدارك ما بقي من أيامها لئلا يصبح يوماً فلا يجدها ولا يجد ما يعوضه عنها.

وإن كانت عجوزاً أو كانت مريضة أو كانت مزعجة بكثرة طلباتها فاذكر أنها إن احتاجت إليك اليوم فلقد كنت يوماً أحوج إليها، وإن طالبتك أن تقدّم لها من مالك فقد قدّمت لك من نفسها ومن جسدها، وأنها حملتك في بطنها فكنت عضواً من أعضائها يتغذى من دمها، ثم وضعتك كرهاً عنها، انتزعت منها انتزاع روحها.

أما أبصرت يوماً حاملاً في شهرها التاسع بطنها إلى حلقها لا تستطيع أن تمشي من ثقل حملها ولا تستطيع أن تنام؟

وإن لم تَرَ بعينك امرأة تلد أفما سمعت صراخها من ألمها؟ ألم يبلغك ما تقاسي وما تتعذّب؟

لو سبب لك إنسان عشر هذا العذاب لأعرضت عنه ولهجرته هذا إن أنت رفقت به فما انتقمت منه ولا آذيته. ولكن الأم تنسى بعد لحظات من خروج الولد ألمها، ثمّ تضمه إلى صدرها فتحسّ كأنّ روحها التي كادت تفارقها قد ردّت إليها، وتلقمه ثديها ليمتصّ حياتها فيقوى بضعفها ويسمن بهزالها أو يمدّها الله بقوّة من عنده فلا تضعف ولا تهزل ويقوى هو ويسمن.

وإن ضقت بطول حياة أُمك، تخفي ذلك في أعماق نفسك وتنكره بلسانك فقد كانت ترى فيك حياتها، إن تبسمت أحسّت أن الدنيا تبسم لها والأماني قد واتتها، وإن بكيت بكى قلبها واسودّ نهارها، وإن مرضت هجرت منامها ونسيت طعامها، ترعاك ساهرة حتى تصبح، فإن أصبحت ظلّت ترعاك حتى تمسي.

إنّك لو أحببتها بقلبك كله لم توفها إلّا واحداً بالمئة مما أولتك من حبّها.

وإن كان لـك أبٌ شـيخ كبيـر محتـاج إليـك، فاذكر أنه طالما تعب لتسـتريح أنت وشـقي لتسـعد، ما جمـع المال إلّا لـك وما خسـر ماضيه إلّا ليضمـن مسـتقبلك، وأنه كان يعـود من عملـه محطّمـاً مكدوراً فتثـب إلى حجـره وتقول له: بابا، وتمـدّ يديك الصغيرتين لتعانقه، فينسـى بك التعب والنصب، ويرى المسـرات كلها وقد جمعـت له والمتاعب كلها قد نأت عنه.

واذكر أنه ما زاد من عمرك يـوم حتى نقص من عمريهما مثله، ولا بلغت شـبابك حتـى ذهب شـبابهما، ولا نلت هذه القوّة حتى نالهما الضعف.

وقد تجد فـي الناس مـن يظهر لك من حبّـه أكثر مما تظهر الأم ويظهر الأب، ولكن منهم من يحبّك لمالك أو لجمالك أو لجاهـك وصلاح حالك، فإن سـاءت الحال أو ذهـب الجمـال أو قـلّ المال أعـرض عنـك ولم يعد يعرفك.

أما الـذي يحبّك لذاتـك ويبقى على حبّـك مهما تبدلت الحال بك فهو أمك وأبوك، لا تجد مثلهما.

فمن كانت لـه أمّ أو كان لـه أب فقد فتح له بـاب الجنّة، فمن الذي يمرّ بباب الجنّة مفتوحاً فلا يدخلها؟[1]

■ (ذكريات الجزء الثاني، ص 107 ـ 109)

(1) سأل رجل رسـول الله ﷺ من أحق الناس بحسن صحابتي. قال: **أُمك**... **ثم أُمك ثم أُمك** وقال رسـول الله ﷺ لشخص أتى إليه يشـكو أن أباه يأخذ من ماله: (**أنت ومالك لأبيك**).
إنها دعوة للترابط الأسـري ولبيان حقوق الوالدين، وبيان فضلهما وللتأكيد علـى أن الأسـرة التـي عمادهـا الأُم والأب هي الأسـرة القوية المتماسـكة وبذلك تُبنى الحضارات وتنهـض الأُمم.

زوجتي

تحبّ من أحبّ، وتعادي من أعادي. إن حرص النساء على رضا الناس كان حرصها على إرضائي... وإن كان مُناهن حلية أو كسوة، فإن أكبر مُناها أن تكون لنا دار نملكها نستغني بها عن بيوت الكراء.

تحب أهلي، ولا تفتأ تنقل إليّ كلّ خير عنهم، إن قصرت في برّ أحد منهم دفعتني، وإن نسيت ذكرتني، حتى أنّي لأشتهي يوماً أن يكون بينها وبين أختي خلاف كالذي يكون في بيوت الناس، أتسلّى به، فلا أجد إلّا الودّ والحبّ، والإخلاص من الاثنتين، والوفاء من الجانبين.

إنّها النموذج للمرأة الشرقية، **التي لا تعرف في دنياها إلّا زوجها وبيتها**، والتي يزهد بعض الشباب فيها، فيذهبون إلى أوروبة أو أمريكة ليجيئوا بالعلم فلا يجيئون إلّا بورقة

في اليـد وامـرأة تحت الإبـط، امـرأة يحملونها يقطعـون بها نصـف محيـط الأرض أو ثلثه أو ربعـه، ثم لا يكـون لها من الجمال ولا من الشـرف ولا من الإخلاص ما يجعلها تصلح خادمة للمرأة الشـرقية؛ ولكنّه فسـاد الأذواق، وفقد العقول، واستشعار الصغار، وتقليد الضعيف للقوي، يحسب أحدهم أنه إن تزوّج امـرأة من أمريـكا، وأي امرأة؟ عاملة في شـباك السينما، أو في مكتب الفندق، فقد ملك ناطحات السحاب، وصارت له القنبلة الذرية، ونقش اسمه على تمثال الحرية.

إن نسـاءنا خير نسـاء الأرض، وأوفاهن لزوج، وأحناهن على ولد، وأشـرفهن نفسـاً، وأطهرهن ذيـلاً، وأكثرهن طاعة وامتثالاً وقبولاً لكلّ نصح نافع وتوجيه سديد[1].

■ (موقع الإسلام اليوم، 15 ربيع الأول 1422، 7/ 6/ 2001)

---

(1) الأصل فـي المرأة أن تكون راعية فـي بيت زوجها كمال قـال ﷺ: (**المرأة راعية فـي بيت زوجهـا ومسـؤولة عن رعيتهـا**) متفق عليـه، ولننظـر إلى هـذا التحديد والتقييد الجميل في قوله «بيت زوجها»، ولم يقل: في بيتها وكأن سـلطان المرأة وولايتهـا لا تكون إلّا في بيـت زوجها، أي: بحسـن تدبير المعيشـة والأمانة في ماله وعياله وعلاقاته الاجتماعية وغير ذلك.

يا ابني

لا، يـا ابنـي، هـوّن عليـك، فليـس الـذي تشـكو داءك وحـدك، ولكنـه داء الشـباب، إن الصنـم للوثنـي رب مـن حجـر، والمرأة للعاشـق وثـن من خيـال؟ كل هـذا طبيعي معقول ولكـن الـذي لا يكون أبـداً طبيعيـاً ولا معقـولاً أن يحس الفتى بهذا كله في سـنّ خمس عشـر سـنة ثم يضطره أسلوب التعليم إلى البقاء في المدرسة إلى سنّ العشرين أو خمس وعشرين..

فمـاذا يصنع في هـذه السـنوات وهي أشـد سـني العمر اضطرام شهوة، واضطراب جسد هياجاً وغلياناً؟...

فماذا يصنع؟

هذه هي المشكلة، فإما أن تنطوي على نفسك، على أوهام غريزتك وأحلام شـهوتك، تـدأب على التفكير فيهـا وتغذيها

بالروايات والأفلام الفاجرة والصور العاهرة، ثم لا تنتهي بكل حال إلا إلى الهوس أو الجنون أو انهيار الأعصاب.

وإما أن تغرف من حماة اللّذة المحرّمة وتسلك سبل الضلال وتؤم بيوت الفحش، تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك في لذّة عارضة ومتعة عابرة، فإذا أنت قد خسرت الشهادة التي تسعى إليها والعلم الذي أملت فيه..

إذا كان هذا هو الداء، فما الدواء؟

الدواء أن نعود إلى سنة الله وطبائع الأشياء التي طبعها عليها فالزواج وحده طريق الإصلاح، **فإذا لم يتيسّر لك الزواج، ولم ترد الفاحشة فليس لك إلّا بخوف الله** والانغماس في العبادة والدرس والاشتغال بالرياضة فإنّها نِعْمَ العلاج[1].

■ (يا ابني، ص 5 ـ 18)

---

(1) الزواج المبكر هو الحل لكل مشاكل الشباب، وخصوصاً في هذا الزمن الذي كثر فيه الفساد والإنحلال، وإذا لم يكن الحل بالزواج وذلك بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية، فعلى الشباب الصبر (وما أصعبه من قرار) وتسلية النفس بالعلم والرياضة والصوم.

يا بنتي

إن بـاب الإصـلاح أمامكِ أنت يـا بنتي، ومفتاحـه بيدكِ، وعفافكِ به تفخرين، وبه تعيشينَ. ولا تصدقي ما يقوله بعض الرجال، من أنهم لا يرون في البنت إلا خلقها وأدبها، وأنهم يكلمونهـا كلام الرفيـق، ويودونها ودّ الصديـق، **كذب والله**، ولو سـمعتِ أحاديث الشـباب في خلواتهم، لسمعتِ مهولاً مرعباً، وما يبسـم لك الشاب بسـمة، ولا يلين لكِ كلمة، ولا يقدّم لكِ خدمة، إلّا وهي عنده تمهيـد لما يريد، **أو هي إيهام لنفسه أنها تمهيد.**

والبنـت مهما بلغت من المنزلة والغنى والشـهرة والجاه، لا تجـد أملهـا الأكبـر وسـعادتها إلا فـي الـزواج، فـي أن تكون زوجاً صالحة، سـواء فـي ذلك الملـكات والأميرات، وممثلات هوليود ذوات الشهرة والبريق الذي يخدع كثيرات من النساء...

الـزواج أقصـى أمانـي المـرأة، والفاسـقة المسـتهترة لا يتزوجها أحد..

وليس يلزم أن تختلط الفتاة بغير محارمها، وأن تستقبل المـرأة صديـق زوجهـا فـي بيتهـا، أو أن تحييـه إن لقيته في الشـارع، وأن تصافح البنت رفيقها في الجامعة، أو أن تمشي معه في الطريق، وتسـتعد معه للامتحان **وتنسى أن الله جعلها أنثـى وجعلـه ذكـراً**، وجعـل فـي كلٍّ الميـل إلـى الآخر فلا تسـتطيع هي ولا هو ولا أهل الأرض جميـعً أن يغيّروا خلق الله، **وأن (يسـاووا) بيـن الجنسـين أو أن يمحوا من نفوسـهم هذا الميل.**

وإن دعـاة المسـاواة والاختـلاط باسـم المدنيـة قـوم كذّابـون... كذّابـون لأنهـم مـا أرادوا من هـذا كلّـه إلّا إمتاع جوارحهم، وإرضاء ميولهم.

هذه نصيحتي إليكِ يا بنتي..

وهذا هو الحق..

وأعلمي أن بيدكِ أنتِ ـ لا بأيدينا معشر الرجال ـ بيدكِ مفتاح باب الإصلاح، فإذا شئتِ أصلحتِ نفسكِ، **وأصلحتِ الأُمة كلها**[1].

■ (يا بنتي، ص 11 ـ 28)

---

(1) يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: 71]. الفتاة ليست عضواً خارج المجتمع أو على هامشه بل هي في قلب المجتمع ولها دورها الأساسي والفعّال. والتربية تشكّل المخزون الثقافي والنفسي والسلوكي الذي سيلقي بظلاله على الفتاة طيلة مسيرة حياتها وكما يقال: (من شبّ على شيء شاب عليه).

أبناؤنا وتحمّل المسؤولية

بعد الشّدّة التي تربينا نحن عليها، صرنا نخاف على أبنائنا من تأثيرات القسوة، **وبتنا نخشى عليهم حتى من العوارض الطبيعية كالجوع، والنعاس**، فنطعمهم زيادة، ونتركهم كسالى نائمين، ولا نُحمّلهم المسؤولية شفقة عليهم، ونقوم بكل الأعمال عنهم... فأي تربية هذه؟

وما ذنبنا نحن لنحمل مسؤوليتنا ومسؤوليتهم؟

ألسنا بشراً مثلهم ولنا قدرات وطاقات محدودة..؟ إننا نربي أبنائنا على الإتكالية، وفوقها على الأنانية، فباتوا لا يُقدّرون ولا يمتنون ويطالبون بالمزيد..!

إن هذه التربية تُفقد الابن الإحساس بالآخرين.

فما المشكلة لو تحمّل صغيرك المسؤولية..؟ وشعر بالمعاناة وتألّم..؟

والأمّ الحكيمة تترك صغيرها ليتحمل بعض مشاقها، وتعينه بتوجيهاتها، وتسنده بعواطفها، **فيشتدّ عوده ويصبح قادراً على مواجهة مسؤولياته وحده**[1].

■ **(من صفحة جمعية الإرشاد والإصلاح الخيرية الإسلامية، بيروت، لبنان، نشرت على الإنترنت في 30 يناير 2014م)**

(1) يجب أن يتعلم الطفل في البيت أصول الحياة الفردية والإجتماعية، والتي لا يمكن له بالطبع أن يتعلمها من خارجه مثل: أصول احترام الآخرين، وحُسن الخلق، أصول التخاطب والكلام، والنظافة الشخصية، والجلوس مع الناس، والهمّة العالية، وعدم الإتكالية، كما يجب التدرّج في التعليم وفقاً لعمره، وأن لا نقيس الطفل بأنفسنا لأن التعامل معه أحياناً كالكبار يشكّل ضغطاً نفسياً وروحياً عليه.

العطفُ قبل المال

ليست قيمة الإحسان بكثرة المال، إنّ المال ينفع الفقير ولكنّه لا ينزع من قلبه النقمة على الحياة، ولا يستل منه بغض الأغنياء ولا يملؤه بالحب.

إن الذي يفعل هذا كله هو العطف، وأن تشعر الفقير بأنه مثلك، وأن تعيد إليه كرامته وعزّة نفسه، ورُبّ تحية صادقة تلقيها على سائل أحبّ إليه من درهم، ودرهم تعطيه فقيراً وأنت تصافحه يكون أفضل عنده من دينار تدفعه إليه متكبراً مترفعاً، يدك تمتدّ إليه بالمال، ووجهك يجرعه كأس الإذلال.

إن كل غنيّ يستطيع أن يتصدّق بالكثير، **ولكن غنيُ القلب بالإنسانية والنبل والحب، هو الذي يستطيع أن يتصدّق، مع المال، بالعاطفة المنعشة**.. فلا تبخلوا على

الفقـراء بإنسـانيتكم، ولا بعطـاء قلوبكم، وذكروهـم أنهم لا يزالـون معدودين من البشـر، وأنهم مثلكـم لأب واحد ولأمّ واحـدة، لآدم وحواء، وأنهـم لم ينحدروا إلـى دركة الدواب والبهائم...

إنكـم تلقـون كل يـوم ممـن هـم دونكـم فـلا تتفضلون بالالتفات إليهم، ولا تفكّرون فيهم، ولا تشعرون بوجودهم، ثـم تتألّمـون إذا أعـرض عنكـم مـن هـم فوقكـم، وتجاهل مكانكـم، وتـرون ذلك جرحـاً لشـعوركم وكسـراً لقلوبكم، فلماذا تطلبون ممن فوقكم ما لا تعطونه من هم دونكم؟

أليس لهؤلاء نفوس تحس، وقلوب تتألم؟[1].

■ (صور وخواطر، ص 23 ـ 25)

---

(1) **يقـول الله تعالـى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 262].

النيـة من الصدقـة أن تكـون في سـبيل الله ولا يجـوز أن يظهـر المنفِـق بمظهر المترفّع على المنفَق عليه.

الإيمان سبيل الاطمئنان

دهمني مرة همٌّ، وجعلت أفكّر في طريق الخلاص، وأضرب الأخماس بالأسداس، ثم قلت: **ما أجهلني إذا أحسب أني أنا المدبّر لأمري**، وأحمل همَّ غدي على ظهري، ومن كان يدبّر أمري لمّا كنت طفلاً رضيعاً ملقى على الأرض كالوسادة لا أعي ولا أنطق ولا أستطيع أن أحمي نفسي من العقرب إن دبّت إليّ، والنار إن شبّت إلى جنبي، أو البعوضة إن طنّت حولي؟

ومن رعاني قبل ذلك جنيناً، وبعد ذلك صبياً؟ أفيتخلى الله الآن عنّي؟

ورأيت كأنَّ الهمّ ثقل كان على كتفي وألقي عني، ونمت مطمئناً.

إن الطريق إلى بلوغ حلاوة الإيمان هو **الدعاء**، ادع الله دائماً، فإنّ الدعاء في ذاته عبادة، وليس المدار فيه على

اللفظ البليغ، والعبارات الجامعة، وما يدعو به الخطباء على المنابر، يريدون إعجاب الناس بحفظهم وبيانهم، أكثر ممّا يريدون الإجابة، فإنّ هؤلاء كمن يتكلّم كلاماً طويلاً في الهاتف وشريط الهاتف مقطوع، بل **المدار على حضور القلب**، واضطرار الداعي، وتحقق الإخلاص، **وربّ كلمة عاميّة خافتة مع الإخلاص والاضطرار** أقرب إلى الإجابة من كلّ الأدعية المأثورة تلقى من طرف اللسان.

فإن أنت أدمت صحبة الصالحين ومراقبة الله، ولازمت الدعاء **وجدت ليلة القدر في كلّ يوم**، ولو لم تفد من هذا السلوك إلا راحة النفس، ولذّة الروح لكفى، فكيف وأنت واجد مع ذلك سعادة الآخرة، ورضا الله[1].

■ (فصول إسلامية، ص 156 ـ 158)

---

(1) أوصى رسول الله ﷺ بالدعاء الذي كان يدعوه سيدنا يونس عليه السلام في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]. فالدعاء هو مخ العبادة وبه يشعر الفرد المسلم بحالة سلام وتسليم لله تعالى في كل أموره وكل حركاته وسكناته.

الأمانة

ليست الأمانة هي أن تحفظ الوديعة التي تُؤديها إلى أصحابها فقط، فإنّ هذه صورة من صورها، وشكل من أشكالها...

فالقدرة على الحكم أمانة في يد القاضي، فإن زاغ عن الحق شعرة فقد خان، والعمل أمانة في يد الأجير، فإن قصّر أو أفسد فيه شيئاً فقد خان.

واعتقاد الناس بك الصلاح والتُقى أمانة في يدك، فإن اتخذت هذا الاعتقاد سبباً إلى جمع المال، وعملت من لحيتك العريضة وعمامتك شبكة لاصطياد الدنيا، فهي خيانة، إلى غير ذلك من الصور والأشكال.

بل إنك إذا دققت، وتلطفت وجدت هذه الجوارح التي أعطاكها الله أمانة في يدك، بل إن عمرك كله أمانة، فلا تُنفق ساعة منه إلا فيما يُرضي صاحب الإمانة!

فأين المسلمون اليوم من هذا؟

لقد رأيتُ من قِلّة الأمانة، عند الصُنّاع والتُجار والعلماء والجهلاء...

فالرجل يُظهر لي المودة ويُعلن التُقى، فإذا كانت بيني وبينه معاملة، وتمكّن مِنّي أكلني بغير ملح، وتعرَّق عظامي!

فأين تقع الأمانة من نفوس هؤلاء الذين يدّعون أنهم من المسلمين؟!

وكيف أصنع إذا كان هؤلاء المسلمون لا يُوثق بهم، ولا يُطمئن إليهم أأعامل الفرنسي والصهيوني وأقاطع بني ديني وَوطني؟

إنه لخطبٌ جسيم، فماذا تصنع المدارس ومعلموها والمساجد وواعظوها والصحف وكاتبوها...

وإذا كُنّا نُقلّد الغربيين في الشرور فلماذا لا نُقلّدهم في الصدق في المعاملة والوفاء بالوعد والاستقامة في العمل؟

وإن من أشكال الأمانة وصورها أن القلم المتين،

واللسان البليغ أمانةٌ في يد الكاتب والخطيب، فإذا لم يستعملاهما في إنكار المنكر، والأمر بالمعروف، والدعوة إلى الإصلاح كانا ممن خان أمانته، وأضاعها، وفرَّط فيها، فلينظر لنفسه كل كاتبٍ وشاعرٍ وصحفي وخطيب![1]

■ (في سبيل الإصلاح، ص 83 ـ 87)

(1) الأمانة كلمة واسعة الدلالة في التشريع الإسلامي، فهي إدراك قوي من الإنسان بمسؤوليته الكاملة أمام الله في كل أمر يوكل إليه من قول أو عمل ما، قال ابن عمر ﷺ: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: **كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيتها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤول عن رعيته**) صحيح مسلم.

طريق التغيير

نحن نشكو تمزق في مجتمعاتنا، وأعداء تكالبت علينا، ومظالم حاقت بنا، فلماذا نواجهها وحدنا ولا نطلب من الله أن يقف معنا؟

لماذا لا ننصره باتباع شرعه لينصرنا؟

إننا نريد أن يغير الله ما نحن فيه فما طريق التغيير؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

فهل غيرنا ما بأنفسنا إلى ما هو أرضى لربنا وأقرب لديننا..

وقضية فلسطين والمسجد الأقصى إنها قضية المسلمين جميعاً، فلماذا لا ندعوهم ليقفوا فيها معنا؟

لماذا نجعلها قضية فلسطينية أو عربية ولا نجعلها قضية إسلامية فيقف معنا ألف مليون مسلم.

والتجربة أكبر برهان، وقد جرّب أجدادنا تجربة، وجربنا تجربة، جربوا **العمل لله والجهاد لإعلاء كلمة الله**، فملكوا ثلث المسكون من الأرض في ثلث قرن، وجربنا نحن التقدمية والاشتراكية والبعد عن حكم الدين فغُلبنا، ومن الذي غلبنا؟ **غلبنا أذل الأمم.. اليهود**[1].

■ (ذكريات علي الطنطاوي، الجزء السابع، ص 170)

(1) على المؤمن أن يتقي الله وأن يلزم الحق، وأن يستقيم عليه وألا يحيد عنه إلى الباطل فإنه متى حاد عنه إلى الباطل فقد تعرّض لغضب الله، فيغيّر قلبه ويغيّر ما به من نعمة إلى جدب وقحط وفقر وحاجة وهكذا... بعد الصحة إلى مرض، وبعد الأمن إلى خوف إلى غير ذلك.
والعكس إن كانوا في معاصي وشرور وانحراف ثم توجهوا إلى الحق وتابوا إلى الله ورجعوا إليه واستقاموا على دينه، فإن الله يغيّر ما بهم سبحانه من الخوف والفقر، والاختلاف والتشاحن إلى أمنٍ وعافيةٍ واستقامةٍ وإلى رجاءٍ وإلى محبةٍ وإلى تعاونٍ وإلى تقاربٍ فضلاً منه وإحساناً سبحانه وتعالى.

اعرف نفسك

إن النفس كالنهر الجاري؛ لا تثبت قطرة منه في مكانها، ولا تبقى لحظة على حالها تذهب ويجيء غيرها، تدفعها التي هي وراءها، وتدفع هي التي أمامها.

في كل لحظة يموت واحد ويُولد واحد، وأنت الكل.

أنت الذي مات وأنت الذي وُلد، **فابتَغِ لنفسك الكمال أبداً**، واصعد بها إلى الأعالي...

واستولِدها دائماً مولوداً أصلح وأحسن، ولا تقل لشيء (لا أستطيعه) فإنك لا تزال كالغصن الطري، لأن النفس لا تيبس أبداً، ولا تجمد على حال..

إنك تتعوّد السهر حتى ما تتصوّر إمكان تعجيل المنام، فما هي إلا أن تُبكّر المنام ليالي حتى تتعوّده فتعجب كيف كنت تستطيع السهر!

وتُدمـن الخمـر ما تظـن أنك تصبـر عنهـا، فما هي إلّا أن تدعهـا حتـى تألف تركهـا، وتعجـب كيف كنت تشربها!

فـلا تقل لحالـة أنت فيهـا، لا أسـتطيع تركهـا، فإنّك في سفر دائم.

وكل حالـة لك محطـة على الطريـق، لا تنـزل فيها حتى ترحل عنها.

اعرف نفسك، واخلُ بها، وغُص على أسرارها...

وتساءل:

ما النفس؟ وما العقل؟ وما الحياة؟ وما العمر؟ وإلى أين المسير؟

ولا تنـسَ أن مـن عـرف نفسـه عـرف ربّـه، وعرف الحيـاة، وعرف اللّـذة الحـق التـي لا تعدلها لـذة.. وأن

أكبر عقاب عاقب به الله من نسوا الله، أنه أنساهم أنفسهم...![1]

■ (صور وخواطر، ص 50)

---

(1) قال ابن القيم رحمه الله: إن من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة، ومن عرفها بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرفها بالذل عرف ربه بالعزة، ومن عرفها بالجهل عرف ربه بالعلم، فإن الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق، والحمد، والثناء، والمجد، والغنى، والعَبْدُ فقير، ناقصٌ، محتاج.
وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه، وعيبه وفقره، وذله، ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله.

متى نثق بأنفسنا..؟

متى نشعر بكرامتنا فلا يطمع فينا كل راغب، ومتى نعرف ثرواتنا، فلا نمدّ أيدينا لنشحذ أبداً..؟ نشحذ القوانين، وعندنا أعظم تشريع في الدنيا، ونشحذ المبادئ الاجتماعية والأساليب الأدبية كما نشحذ الموضات وأدوات الزينة..؟

متى نكون رجالاً نقبل من الغرب النافع ونرفض الضار..؟ ومتى نرى الحق حقاً ولو كان من مصنوعات الشرق، ونرى الباطل باطلاً ولو كان عليه دمغة الغرب..؟

متى نعرف قيمة أنفسنا فلا نذوب ونمحى إذا وقفنا أمام المسيو، ولا تنعقد ألسنتنا ونخرس إذا قال المستر، بل نواجههم مواجهة الرجال ونأخذ منهم ونردّ عليهم، ونعلم أن المنبع الذي غرفنا منه حضارتنا ومجدنا وأفضنا منه على

الغرب لا يزال متدفقاً جارياً، وأنّا نستطيع أن نغرف منه وأن نفيض على العالم مرة أخرى..؟

إننا لا نحتاج إلّا إلى شيء من الثقة بأنفسنا والإيمان بكفاياتنا، وبأن لنا ثروة من العلم والتشريع والحضارة والخير والعدالة الاجتماعية لا نحتاج معها إلى شحاذة القوانين والمبادئ.. هي الإسلام[1].

■ (مقالات في كلمات الجزء الثاني، ص 157 ـ 159)

(1) نحن بحاجة إلى أن نثق بأنفسنا أولًا... أن يثق المسلم بأخيه المسلم، أن تثق الشعوب في بعضها البعض، وأن تثق الحكومات بنظيراتها، وأن تثق هي بشعوبها، إننا متى ما منحنا الفرصة لهذا الإنسان المسلم فإنه حتماً سيبهر العالم...
يجب علينا تخطي الشعور باليأس... أن نتجاوز الماضي ونصلح من حاضرنا لننهض بمستقبل جديد لهذه الأمة التي هي خير أمة أُخرجت للناس.

المستقبل

إني أعيش في العدم، أعيش في الماضي بالذكرى، وفي المستقبل بالأمل، مع أن الحاضر وحده هو الموجود... لقد مضى الأمس إلى حيث لا رجعة ولن يأتي المستقبل أبداً...

أين هو المستقبل..؟

ومن ذا الذي يستطيع أن يصل إليه..؟

لقد جلست في مثل هذه الليلة من العام الذي يموت الآن، في شرفة منزلي بالأعظمية (بغداد) أحلم بالمستقبل، **بهذه السنة التي كانت مستقبلي**، أسعى إليها وأؤمل أن أدركها، فلما أدركتها صارت (حاضراً) وطفقت أعدو إلى مستقبل آخر، إنني كالثور يسعى ليدرك حزمة الحشيش التي يراها على شبر واحد

منه فيهلكه السعي، ولا ينالها أبداً، لأنها معلقة بقرنيه تسعى أمامه..![1]

■ (صور وخواطر ص 128 ـ 129)

(1) إن المستقبل الحقيقي ليس في جمع المال، ونيل المناصب، وامتلاك أحسن البيوت، وأفخم المراكب، فإن كثيراً من الناس يقولون: نريد أن نؤمّن مستقبلنا، فيسرقون أموال الناس، ويخونون ويخدعون، ويتقاتلون ويتنافسون لأجل تأمين مستقبلهم الوهمي، وإنما المستقبل الحقيقي... هو ما سيحصل بعد الموت، المستقبل هو منازل الآخرة، القبر وما بعده، فماذا قدمت لهذا الأمر؟
قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: 18].

على أبواب الثلاثين

نظرت اليوم في سجل ميلادي فوجدتني على أبواب الثلاثين، فتركتُ عملي وجلستُ أفكر، **ماذا بقي لي من هذه السنين الثلاثين يا أسفي؟**

لم يبق إلا ذكريات واهية تحتويها بقية قلب تناثرت أشلاؤه...

لم أفد إلا اسماً مشى في البلاد فحمل قسطه من المدح والذم والتمجيد والشتم...

فيا ليتني علمتُ من قبل أن الحياة مثل اللجة، يطفو فيها الفارغ ويرتفع، وينزل فيها الممتلئ ويغوص...

كنت أقرأ لأنـي كنت أجهل الحيـاة، فلما عرفتهـا لم أعد أطيـق قـراءة ولا بحثاً، ولمـاذا أقـرأ ولماذا أتعلم ولمـاذا أكـون فاضـلاً؟ **والحيـاة حـرب علـى أهـل العلم والفضل، والناس كالحياة لأنهم أبناؤها وتلاميذها.**

ألا يحيـا الـكاذب المنافـق سـعيداً موقـراً، ويمـوت الصـادق الشـريف فقيـراً محتقـراً ألا يبلـغ المنافـق ذو الوجهين أعلى المراتب وأسـماها ويبقى الصادق الشريف في الحضيض...

أليسـت أسـواق الرذيلة عامرة دائـرة، وأسـواق الفضيلة داثرة بائرة.

ألا يغلـب القـوي الضعيـف ألا ينتصـر المـال على العلم.

فلماذا أقرأ ولماذا أتعلّم ولماذا أكون فاضلاً.

ثـم قمتُ وقـد صفيتُ حسـابي مـع الحيـاة، فـإذا أنا قد خسرتُ ثلاثين سنة هي زهرة عمري وربيع حياتي ولم أربح شيئاً[1]...

■ (من حديث النفس، ص 99 ـ 104)

(1) أقول للشـيخ علي الطنطاوي لم تخسر شيئاً إن شـاء الله، ربيع العمر يمضي وتتطاير أوراقه مع الرياح العاتية... ولا نملك لإبقائها سوى تعليقها بحبائل الله، فتنبت من جديد وتخضر، وقد تثمر، هي الحياة يا سيدي تذهب ويبقى العمل الصالح.

لماذا نضيق بالزمن؟

أنا أفكّر من قديم في أمر أراه دائماً ولا أعرف له تعليلاً:

لماذا يضيق أحدنا بالزمن إذا لم يجد ما يملؤه به..؟

لماذا تثقل عليه ساعات الفراغ..؟

لماذا يملّ الانتظار..؟

لماذا يكره أحدنا أن يخلو بنفسه..؟

هل نفسي عدو لي أشتغل عنها دائماً بقراءة كتاب، أو حديث مع إنسان أو استغراق في عمل؟ إن أيام عمري هي رأس مالي، فلماذا أقطع عمري بما يشغلني عن مراقبته والتفكير فيه؟

لقد وجدتُ الجواب، إنـه ضعف الإيمان، ولو كنت فيما ينبغي أن أكون لأنسـت في خلوتـي بالله ولم أضـق بالوحدة ولا كرهتهـا، ولمـا أضعتُ لحظة مـن حياتي التي سيسـألني الله عنها في غير مـا ينفعني عنده يوم العـرض عليه، ولكن يا أسفي! ما عندي إلا الكلام، ورجاء العفو من الله[1].

■ (ذكريات علي الطنطاوي، الجزء الثالث، ص 83)

(1) الخلوة من أنجع الوسائل في رؤية عيوب النفس ومعرفة آفاتها.
قـال ابن الجـوزي: (فعليـك بالعزلة والذكـر والنظر فـي العلم، فـإن العزلة حمية، والفكر والعلم أدوية).
والخلوة وسـيلة إلى اقتناص خواطـر الخير، وصيد الأفـكار الجيدة التي لا ترد فـي الزحام وبيـن النـاس، والخلوة ميـزان دقيق يقيـس به العبـد إيمانه ويعرف صدقه وإخلاصه.
قال ابن القيم: (من فقد أنسـه بالله بين الناس ووجده في الوحدة فهو صادق ضعيف).
والخلوة طريق موصل إلى محبة الله.

خداع وسراب

لقد كنت أكتب **والشباب والحماسة تملأ النفس، والرغبة في الشهرة والمجد الأدبي تحفز إلى العمل**، أكتب وأعرض المقالة على الناشر لا أطلب منه مالاً ولا أجراً إلا نشرها، فإن رأيتها منشورة ملأ الزهو قلبي فوجدت المكافأة حاضرة.

ثم أقبل عليّ الآن الناشر يطلب مني، وعرض الأجر الكبير والمال الوفير، ولكني فقدتُ الحماسة وماتت في نفسي الرغبة في الشهرة حين نلتها فوجدتها سراباً.

سراب والله! هل تعرفون السراب؟ إن سالك الصحراء يراه من بعيد كنبع الماء الصافي، فإذا جاءه لم يجد شيئاً.

هـذه هـي الشـهرة! وأنا أكتـب عنهـا عن خبـرة، لقد صار يعرف اسـمي ملايـين، وتُرجم كثير ممـا كتبت إلى الفارسـية والأورديـة وتُرجم شـيء منـه إلـى الإنكليزية، وتجيئني كتب مـن القراء والسـامعين من أندونيسـيا في أقصى المشـرق ومن مراكش في المغرب، فماذا في هذا كله؟ ما ينفعني وماذا يصير في يـدي منه؟ ما ينفعني وأنا منفرد فـي داري أن يمدحنـي ملايين من النـاس ويقولوا إنـي أديب العرب، ومـا يضرني أن يقولوا إنـي أكبر دعيٍ وأجهـل جاهـل؟ أو أن لا يمرّ على ألسـنتهم اسـمي ولا يعرفوني؟

إن الحقيقة الوحيدة من ثمـار الأدب هي أجور المقالات وما نرجو من ثواب الله!

ولقد أخذت على مقالاتي أكبر أجـر أخذه كاتب عربي، قبضت غير مـرة ثلاثمئة ليرة على المقالـة الواحدة، وقبضتُ ألف ليـرة على المحاضـرة الواحـدة... والمـال حقيقة ليس سراباً، ولكن ماذا أصنع بالمال..؟

إن ثواب الله هـو الحقيقة الوحيـدة الباقية ومـا عداه متاع الغرور، خـدع نخدع بها أنفسـنا... مـا الذي نحملـه معنا إن ذهبنـا.. إلا العمـل الصالـح؟ كلـه سـراب إلا ما تقدمـه بين يديك لآخرتك[1].

■ (من حديث النفس، ص 297 ـ 299)

(1) كلمة للشـباب... إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمـان بها، وتوفر الإخلاص فـي سـبيلها، وازدادت الحماسـة لها، ووجد الاسـتعداد الـذي يحمل على التضحية، وكان الهدف ثواب الله ونفع الناس.

نحن المسلمون

نحن المسلمون...

بنينا الكوفة والبصرة والقاهرة وبغداد.

أنشأنا حضارة الشام والعراق ومصر والأندلس.

نحن المسلمون...

منا أبو بكر وعمـر ونور الدين وصلاح الديـن، منا خالد وطارق وقتيبة.

منا البخاري والطبـري وابن تيمية وابـن القيم وابن حزم وابن خلدون.

منا كل خليفة كان الصورة الحيّة للمُثل البشرية العليا.

وكل قائد كان سيفاً من سيوف الله مسلولاً.

وكل عالم كان من البشر كالعقل من الجسد.

نحن المسلمون...

قوتنا بإيماننا، وعزنا بديننا، وثقتنا بربنا.

قانوننا قرآننا، وإمامنا نبينا، وأميرنا خادمنا.

نحن المسلمون...

ملكنا فعدلنا، وبنينا فأعلينا، وفتحنا فأوغلنا، وكنا الأقوياء المنصفين، **سننّا في الحرب شرائع الرأفة، وشرعنا في السلم سنن العدل**، فكنا خير الحاكمين، وسادة الفاتحين.

نحن المسلمون...

لا نهن ولا نحزن ومعنا الله.

البطولة سجية فينا، وحب التضحية يجري في عروقنا.

لا تنال مـن ذلك صروف الدهر، ولا تمحوه من نفوسـنا أحداث الزمان.

لنا كل أرض يتلى فيها القرآن وتصدح مناراتها بالأذان.

لنا المسـتقبل.. المسـتقبل لنا إن عُدنا إلـى ديننا... نحن المسلمون[1].

■ **(قصص من التاريخ، ص 17 ـ 23)**

---

(1) يتصف المسـلم بصفات فريدة، وأخلاق حميدة تجعله متميزاً بين الآخرين في اعتقاده وعبادته، وسـلوكه وسـمته، يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21].

اقـرأ

إن أول كلمـة فـي دسـتور الإسـلام كانت **اقـرأ**، لـم تكن قاتل ولـم تكن اغتن ولـم تكن سيطر...

لأن الإسـلام ليـس ديـن قتـال، ولا ديـن مـال، ولا دين سـيطرة وسـلطان، **ولكن الإسـلام دين العلـم والفكر والهدى.**

اقرأ لا باسـم ملك ولا أمير، ولا باسـم حزب ولا باسـم شعب، بل باسم ربك ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]..

لم يقـل الذي خلـق قريشـاً، ولا الذي خلـق العرب؛ بل الذي خلـق الخلق جميعـاً، لأن **دعوة محمـد ﷺ إلى الخلق جميعـاً**، إلى الإنـس والجن... دعـوة فيها أعظـم تكريم ناله الإنسان.

وهل أعظم من أن يبعث إليه الله برسالة، على يد واحد من بني الإنسان؟

هذه فاتحة الرسالة الخالدة التي بعث الله بها محمداً ما مجد فيها الحرب ولا ذكر السيف ولكن كرم العلم[1].

■ (من نفحات الحرم، ص 21 ـ 22)

---

(1) حين جاء الإسلام بحضارة العقل والروح والنفس والوجدان والإيمان تعددت مظاهر وصور التكريم، فنزلت أول كلمة في الدستور السماوي (القرآن الكريم) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، داعية إلى العلم.

لقد كانت كلمة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ هي أول تعاليم ديننا الحنيف، ومفتاح انطلاق أروع وأنبل حضارة عرفها التاريخ الإنساني. حيث امتدت من شمالي الكرة الأرضية إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها فبهرت العالم بمعطياتها في كل المجالات.

وفي تكريم العلم والعلماء قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]...؟

وهو سؤال استنكاري، يعني أن الذين لا يعلمون لا يستوون ولا يضاهون الذين يعلمون.

بنت الأصل

اللغة العربية أكمل اللغات، ما عرفها التاريخ إلا كاملة، وهي من أوسع اللغات، ولا يغرنكم أن في القاموس المحيط ستين ألف مادة وفي لسان العرب ثمانين ألف...

وأن المعاجم الإنجليزية فيها مئات الآلاف، لأن مثلنا ومثلهم مثل رجل له سبعة أولاد فقط، **لكنّهم خرجوا جميعاً من صلبه**، وولدتهم امرأته، وآخر عنده مائة ولد ولكنهم لُقطاء وملمومون لماً من الملاجئ والشوارع.

إذن فالعربية كبنت الأصل، المعروفة النسب، لذلك نفهم اليوم شعر المهلهل، وعدي بن زيد، وكثير من شعراء الجاهلية، الذين كانوا قبل ألف وخمسمائة سنة.

فهل يفهم الإنجليز اليوم شعر من كان قبل شكسبير؟

وهل يفهم الفرنسيون شعر القرن الثالث عشر الميلادي؟[1]

■ (ذكريات علي الطنطاوي، الجزء الثامن، ص 113 ـ 114)

---

(1) للغة العربية مميزات تميزها عن كل لغات العالم:
ـ إنها لغة القرآن الكريم التي أختار الله أن يُنزل بها آخر كتبه إلى نهاية تاريخ البشرية.
ـ إنها أقلّ لغات العالم تطوراً منذ نزول القرآن الكريم، فلا توجد لغة مرّ عليها أكثر من ألف عام وما زال أهلها يمكنهم قراءة وفهم نصوصها بسهولة مثلها.
ـ ومن المميزات ضبط الكلمة بالشكل من ضم وفتح وكسر فتُقرأ على أكثر من وجه مثل: عَلِم، عُلِم والأمثلة كثيرة.

لغتكم يا أيها العرب

لقد كدنا نجهل لغتنا، ومن شك فليمتحن نفسه، فليفتح لسان العرب وليقرأ في عشرة أبيات متتابعة من شواهده، من أي صفحة شاء، فإن فهمها كلها، واستطاع أن يشرحها، أو فهم نصفها أو ربعها واستطاع أن يشرحه، فأنا المخطئ.

أنا لا أطلب أن يكون فينا من يؤلف مثل الكامل وأدب الكاتب والأمالي، بل أطلب أن يكن فينا من يقرؤها بلا لحن، ويفهم ما فيها بلا شرح.

إن اللغة العربية معجزة الذهن البشري، وأعجوبة التاريخ في عصوره كلها، وإذا كان التاريخ يذكر ولادة كل لغة، ويعرف مراحل نموها، ومدارج اكتمالها، فإن العربية أقدم قدماً من التاريخ نفسه فلا يعرفها إلا كاملة النمو، بالغة النضج... هل في الدنيا لغة يستطيع أهلها اليوم أن يقرؤوا

شعرها الذي قيل من أربعة عشر قرناً فيفهموه كأنه قيل اليوم؟ هل في الدنيا لغة يستطيع أستاذ الطب في الجامعة وأستاذ الطبيعة، وأستاذ الفلسفة، أن يجد في ألفاظها التي كانت مستعملة قبل أربعة عشر قرناً ما يفي بحاجته اليوم، في القرن العشرين؟

أفليس حراماً أن نضيع هذه اللغة الأصلية العظيمة، ويفرض الإنكليز لغتهم التي لا أصل لها، على ربع العالم؟ أليس حراماً أن نهملها حتى يجهلها منا المتعلمون؟

أليس حراماً أن يكون فينا من الخوارج على لغتنا من ينصر العامية أو يكتب بها؟

أليس حراماً أن تسير على ألسنتنا مئات الألفاظ الفرنسية والإنكليزية.

ننطق بها تظرفاً وعندنا عشرات الألفاظ التي ترادفها وتقوم مقامها؟

فيا أيها العرب لغتكم...

عودوا إلى العربية فتعلموها وحافظوا عليها، وانشروها وأخلصوا لها، فإن من العار علينا أن تكون لنا هذه اللغة ونضيعها، من العار علينا أن يصل هذا الكنز إلى أيدينا وأن نفرط فيه[1].

■ (فكر ومباحث، ص 9 ـ 12)

---

(1) نقرأ من قصيدة اللغة العربية للشاعر الراحل حافظ إبراهيم:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضِقتُ عن آي به وعِظاتِ

فكيف أضيقُ اليوم عن وصفِ ... آلةٍ وتنسيق أسماءٍ لمخترعاتِ

أنا البحر في أحشائهِ الدرُ كامِنٌ ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

اللغة العربية بحر كبير من المعاني والألفاظ الجميلة والممتعة، تأسرُ كل من يتغنى بها وبكلماتها العذبة الرقيقة، لغة ليس لها مثيل على وجه الأرض، فهي مختلفة عن كل لغات العالم، لها رونقها الخاص، وعبير كلماتها الفوّاح، يدخل إلى الأذن فينقيها.

المُطالعة

أريـد أن أدلكـم على شـيء فيه لـذة كبيـرة، وفيـه منفعة كبيـرة، وتكاليفه قليلة **إنهـا المطالعـة**... لقد جربـت اللذائذ كلها فما وجدت أمتع من **الخلوة بكتاب**.

وإذا كان للناس ميول وكانت لهم رغبات، فإن الميل إلى المطالعة والرغبة فيها.. هي أفضلها.

وهـذا الـكلام للنـاس جميعـاً، للطالـب، وللمـدرس، وللطبيب، وللمرأة في بيتها، وللمسافر وللمقيم...

والمهم حُسـن اختيـار الكتـب، فالكتب مثـل الأطعمة، فيها النافع وفيها الضار، ومنها المغـذي المفيد، ومنها ما هو كثير الدسـم عظيم النفع ولكن لا تشتهيه النفس، ومنها السم القاتـل، ومنها ما هو سـمّ ولكنه ملفوف بغشـاء من السـكر، فمن أنخدع بحلاوة الغشاء قتله السمّ!

ومن قرأ كل شيء صار معه سوء هضم عقلي!

ومن الكتب ما يُدخل الجنة ومنها ما يُدخل النار، فلينتبه كل قارئ، **وليسأل من يثق به** من المفكرين والعلماء، وإلا كان تركُ المطالعة... خيراً منها.

ومن هنا قالوا:

ليس بعلم ما حوى القِمطرُ[1] ما العلمُ إلّا ما حواه الصدرُ[2]

■ **(فصول في الثقافة والأدب، ص 179 ـ 187)**

---

(1) القِمَطْر: وعاء من قصب أو جلد، يتخذ لصيانة الكتب، ويُرفع عن الأرض أو يُعلق على الجدار، مخافة الأرضة والقوارض، وهي كلمة تخصّ الكتب فقط.

(2) الغذاء والكتاب ضروريان لحياة المرء... فبالغذاء تصح الأجسام وتقوى على القيام بمتطلباتها، إذ أن الطعام يمد الأجسام بالطاقة، فإذا نقصت الطاقة اختلّ الجسد، ومثل ذلك الكتاب فإنه يمدُّ العقول بالمعرفة لتغذيتها، لتنار وتصح بالعلم.

قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: 1 ـ 3].

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11].

لون من الترف العقلي

طرق المؤلفون في كتبهم كل باب من أبواب المعرفة وسلكوا كل طريق من طرق العلم والأدب، وأودعوها كل ما يمكن أن يصل إليه العقل المفكر والقلب الشاعر والوجدان المتأمل...

ولمّا ظنّوا أنهم شبعوا من الجِد واكتفوا استراحوا إلى لون جديد، كما استراح أهل الفن من المصورين والرسامين إلى هذه المذاهب الجديدة في الرسم، التي لا تبلغ معرفتي بها مبلغ القدرة على وصفها والكلام فيها.

ولكن لا يصل عجبي منها إلى حدّ الإعجاب بها أو تذوقها وفهمها..

وكيف أعجب بلوحة ما أرى فيها إلّا علب كبريت مكومة أكواماً، أو حجارة مركومة ركماً، أو سلماً مقلوب قد

تعلق بخطوط متعرجة متداخلة بلا ترتيب ولا نظام ولا دقّة ولا إحكام كأنها خرابيش الدجاج على بقعة من الرمل، ثم أرى تحتها كتابة موضحة لها تقول إنها صورة امرأة جميلة أو مشهد غروب الشمس في البحر...؟ وما ثمّ شمس ولا بحر.

ما هناك إلّا الفوضى والعبث!

وهكذا المذهب الحديث في الشعر، حيث تُرصف كلمات جميلة لا يربط بينها رباط يتبينه الفكر، ولا صورة يلذها الذوق، ولا موسيقى تطرب لها الآذان، وما هي إلّا معجم، ولكنه معجم قد اختلّ ترتيبه!

وقالوا: إن هذا هو الشعر الحديث[1].

■ (فصول في الثقافة والأدب، ص 109 ـ 110)

---

(1) الشعر الحديث (الحر): لون جديد ظهر في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين على يد شعراء عراقيين (بدر شاكر السيَّاب ونازك الملائكة). شاعت تسميته (بالشعر الحر) عند كثير من الأدباء المعاصرين، والأقرب إلى الصواب (شعر التفعيلة أو الشعر الحديث).

المُعلم

ثلاثة شروط لنجاح المُعلم.. لمن أراد أن يكون مُعلماً ناجحاً.

أولها: استيعاب المادة التي يدرّسها، والإحاطة بها، والرجوع إلى كلّ كتاب يصل إليه من كتبها، **فلا يقتصر على الكتاب المقرر**، أما في الجامعة فلا يجوز أبداً أن يُقرّر للطلاب كتاب بعينه لا يرجعون إلّا إليه، ولا يأخذون إلّا منه، ومن يفعل ذلك من الأساتذة **يكن مُعلّم مدرسة ابتدائية لا أستاذاً في جامعة.**

الثاني: أن يسلك إلى فهم الطلاب كل سبيل، فإن ساق المسألة بعبارة لم يفهموها بدل العبارات حتى يصل إلى العبارة التي يستطيعون أن يفهموها، **وما دامت مسائل العلم في ذهنه، وكلمات اللغة بين يديه، سهل ذلك عليه.**

أما الشـرط الثالث فهـو: أن يكون طبيعياً، فـإن لم يعرف المسـألة قال للطلاب إنّي لا أعرفهـا، وإن أخطأ قال لهم إنّي أخطأت فيها[1].

■ (ذكريات علي الطنطاوي، الجزء السادس، ص 237)

(1) إضافة إلى ما ذكره الشيخ الطنطاوي رحمه الله:
ـ الأخلاق الفاضلة حتى يكون قدوة لمن يقوم بتعليمهم فيحذوا حذوه.
ـ الإخلاص في أداء رسالته بصدق وأمانة.

الاستطراد

لقد صار الاستطراد عادةً لي، أعترف أنها عادة سيئة، ولكن ما أكثر العادات السيئة التي لزمتنا فلم نستطيع الانفكاك عنها، ولو كانت من المحرّمات لأكرهت نفسي على تركها، فليس لمسلم يأتي المحرّمات أن يحتجّ بتعُوده عليها، ولكنها لسوء حظي ليست من المحرّمات.

ولطالما كنت أخطب في الحشد الكبير، أو أتكلم في الإذاعة أو الرائي (التلفزيون)، وأحاديثي فيهما كلها ارتجال، ليس أمامي ورقة مكتوب أقرأ فيها، **فأستطراد وأخرج عن الخط**، فإذا انتهى الاستطراد وقفتُ كما وقف حمار الشيخ في العقبة، فلا أذكر من أين خرجت، ولا إلى أين أعود...!

ولا تسألوني من هو هذا الشيخ، فإن المثل خلّد ذكر الحمار، ونسي اسم الشيخ، ليعلمنا أن خلود الأسماء ليس الدليل على عظمة أصحابها[1].

■ (ذكريات علي الطنطاوي، الجزء الأول، ص 10 ـ 11)

(1) الاستطراد: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول.

عظمة محمد ﷺ

إنَّ من الظلم لمحمد ﷺ، أن نقيسه بواحد من هؤلاء الآلاف من العظماء الذين لمعت أسماؤهم من دياجي التاريخ، من يوم وُجد التاريخ...

فمحمد ﷺ هو وحده الذي جمع العظمة من أطرافها.

وهو وحده الذي أذن لأصحابه أن يذيعوا عنه كلّ ما يكون منه ويبلغوه، فرووا كلّ ما رأوا من أحواله في ساعات الصفاء، وفي ساعات الضعف البشري، وهي ساعات الغضب، والرغبة، والانفعال.

وروى نساؤه كلّ ما كان بينه وبينهنَّ، هاكم السيدة عائشة رضي الله عنها تعلن في حياته وبإذنه أوضاعه في بيته، وأحواله مع أهله؛ **لأنَّ فعله كلَّه دين وشريعة**...

أروني عظيماً آخر دُوِّنَت سيرته بهذا التفصيل، وعرفت وقائعها وخفاياها بعد ألف وأربعمائة سنة، مثل معرفتنا بسيرة نبينا؟

والعظمة إما أن تكون **بالطباع والأخلاق والمزايا والصفات الشخصية**، وإما أن تكون **بالأعمال الجليلة** التي عملها العظيم، وإما أن تكون **بالآثار التي أبقاها في تاريخ أمته وفي تاريخ العالم**، ولكلّ عظيم جانب من هذه المقاييس تُقاس بها عظمته أما عظمة محمد ﷺ فتقاس بها جميعاً؛ لأنّه جمع أسباب العظمة، فكان عظيم المزايا، عظيم الأعمال، عظيم الآثار...

وكانت عظمته عالمية في مداها، وكانت شاملة في موضوعاتها[1].

■ (تعريف عام بدين الإسلام، ص 169 ـ 170)

---

(1) يُعد القرآن الكريم مصدراً أساسياً لمعرفة سيرة النبي محمد ﷺ، وإن كان القرآن لم يتناول كل سيرته باستفاضة، إلا أنه ذكر فيه إشارات كثيرة إما بصريح العبارة أو بالإشارة أو بالتضمين، فذكر فيه بعضاً من شمائله، ودلائل نبوته، وأخلاقه وخصائصه، وعن حالته النفسية.
وكون النبي شخصية لها تأثير كبير في التاريخ، فإن حياته وأعماله وأفكاره قد نوقشت على نطاق واسع من جانب أنصاره وخصومه على مر القرون، كما اهتم العرب المسلمون قديماً وحديثاً بسيرته باعتبارها المنهج العملي للإسلام، فألّف علماء الإسلام مؤلفات عديدة وجامعة في سيرته، ودوّنوا كل ما يتعلق بذلك.

أبو بكر رضي الله عنه

من ذا الذي يستوفي سيرة أبي بكر كلها.. وهي أفضل سيرة في الإسلام بعد سيرة سيد العالمين وخاتم النبيين ﷺ، وأكملها وأحفلها بكل جميل وجليل..؟

سيرة يقرؤها الناقد البصير فيشك ويتردد.. وما يدري أسيرة رجل من الناس يقرأ، أم (قاموساً) علوياً جمع الله فيه الفضائل كلها ليكون المعجزة الحيّة على نبوة محمد ﷺ، والتفسير الناطق لأحكام القرآن؟

ولا يدري أنفساً بشرية يرى، أم نفس مَلك من الملائكة أودعها الله جسم إنسان من الناس، ويعجب كيف اجتمعن في نفس الصديق المزايا الخُلقية جمعاء من أبلغها في الرقة إلى أعرقها في الشدّة، فكانت نفسه كالبحر يلين حتى

يغترف الطفل من مائه، ويلهو بحصاه، ويشتدّ حتى يجتاح المدن ويدك الجبال. وكانت بعدُ كالبحر في عظمته، وجلاله وعمقه وسعته لا يدري ما تكنّ من السجايا والفضائل، إلّا من عرف ما يحوي البحر من الدرر والجواهر[1].

■ (أبو بكر الصديق ص 305 ـ 306)

(1) لقب أبو بكر بالأواه، وهو لقب يدل على الخشية والوجل من الله تعالى، وبسبب رأفته ورحمته بالناس، ولقبه في القرآن الكريم الأتقى، لأنه كان يشتري العبيد الضعفاء من المسلمين ويعتقهم.
قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: 17 ـ 21].
وقد اشتهر أبو بكر في الجاهلية بعلم الأنساب، فقد كان عالماً من علماء الأنساب وأخبار العرب، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف، ويقال إن أبا بكر لم يسجد لصنم قط، ولم يكن يشرب الخمر في الجاهلية، فقد حرّمها على نفسه قبل الإسلام.

عُمر ﷺ

كلّما ازددت إطلاعاً على أخبار عمر، زاد إكباري إياه وإعجابي، ولقد قرأت سير آلاف العظماء من المسلمين وغير المسلمين، فوجدت فيهم من هو عظيم ببيانه، ومن هو عظيم بخلقه، ومن هو عظيم بآثاره.

ووجدت عمر قد جمع العظمة من أطرافها، فكان عظيم الفكر، والأثر، والخلق، والبيان..

وإن استقريت العظماء الذين بنوا دولاً، وتركوا في الأرض أثراً، لم تكد تجد فيهم أجلّ من عمر..

وقد ورد في فضل عمر بن الخطاب ﷺ كثير من الفضائل والمزايا، منها قول النبي ﷺ:

«إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمُ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» [أخرجه البخاري في صحيحه].

وقال: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ» [أخرجه البخاري في صحيحه].

وكان ﷺ يقول رأيه في المسألة فينزل الوحي موافقاً لرأيه، حتى أفرد العلماء موافقاته لآي التنزيل بالتأليف.

وكان ﷺ حسن الخلق بهي الطلعة[1].

■ (أخبار عمر، ص 5)

---

(1) يعتبر عمر بن الخطاب ﷺ أحد أبرز عباقرة السياسة عبر التاريخ، وفي إحدى الإستبيانات احتل المرتبة الثانية والخمسين ضمن قائمة أكثر الشخصيات تأثيراً في تاريخ البشرية، وأكثر ما اشتهر به في كتب التاريخ، إستراتيجياته العسكرية الباهرة، التي وضعته ضمن قائمة أبرز العسكريين في التاريخ، ويعد فتح جميع أراضي الأمبراطورية الفارسية أهم الإنجازات العسكرية للخليفة عمر ﷺ.
ويشتهر أنه كان رجل مواقف وصاحب أقوال وآراء بارزة ومهمة، وأنه كان دائم المراقبة لله في نفسه وفي عُماله وفي رعيته.

شيخ من دمشق

إن مصر، كانت تملك شيخاً دمشقياً نزح إليها، وسكن فيها، وصار قاضي البلد، وخطيب الجامع. شيخ في قلبه إيمان لو صبَّ في الحجر الصلد لانبجست منه الحياة، ولو وجِّه إلى الجبل الراسي لأزاح الجبل.

شيخ كان يعلم أنّ هذا الشعب، الذي هزَّه محمد ﷺ حتى أفاق، وفتح الأرض، **لا تزال في نفسه آثار البطولة** التي فتح بها الأرض، وإن في عروقه ذكرى المعارك المظفرة التي خاضها، والدماء الزكية التي أراقها، والنصر الأبلج الذي انتزعه من كل عدو، كان يعلم أن هذا الشعب ما دُعي مرة إلى التضحية والجهاد إلَّا لبَّى، لأن في نفسه الإيمان الذي يحوّل الهزيمة ظفراً، والضعف قوّة، والفقر غنى، ويصنع من الحجر قنبلة، ومن العصا سيفاً ماضياً، **وصرخ الشيخ بأهل**

مصر: يا أهل مصر اثبتوا واستعدوا وحاربوا، وأنا أضمن لكم على الله النصر.

لقد انهزم التتر الذين دكوا في طريقهم كل قوّة، واخترقوا كل جيش. انهزموا أمام الإيمان الـذي أذكاه في النفوس هذا الشيخ الدمشقي.

انهزمـوا وأنقـذ الله مصـر، أنقـذ الله دنيا الإسـلام، وأنقذ الحضـارة والتمدن والعمـران، وضُمَّت معركـة عين جالوت إلـى سلسـلة المعـارك المقدّسـة، التـي خضناهـا دفاعـاً عن الحقّ والخير والعدل: بدر والقادسية واليرموك وجبل طارق وحطين.

ظفرت مصر. وسـتظفر الآن مصر. سـتظفر. ما في ذلك شك أبداً.

أما الشيخ فهو عز الدين بن عبد السلام...[1]

■ (رجال من التاريخ الجزء الثاني، ص 84 ـ 86)

---

(1) العز بن عبد السلام عالم وفقيه شافعي، لُقب بـ: عز الدين وسلطان العلماء وبائع الملوك.
كان جليلاً مهاباً حسن الصورة، منبسط الأسارير، متواضعاً في مظهره وملبسه، لا يتأنق ولا يتكلف، وكان يحضر الأماكن العامة، والمجالس الرسمية.
وقد خالط العز كبار دولة بني أيوب التي أنشاها صلاح الدين في الشام ومصر.
ترك العز تراثاً علمياً ضخماً في علوم التفسير والحديث والسيرة والعقيدة والفقه وأصول الفقه، وكتباً في الزهد والتصوف.
ولعلّ من أبرز نشاطاته هو دعوته القوية لمواجهة الغزو المغولي التتري وشحذه لهمم الحكام ليقودوا الحرب على الغزاة، خصوصاً قطز قائد جيش المسلمين في عين جالوت.

قراقوش المسكين

قراقوش معناها بالتركية: النسر الأسود (قوش: نسر، قرا: أسود).

إن قراقوش له صورتان: صورة تاريخيَّة صادقة، وصورة روائيَّة صوَّرها عدوٌّ له.

والعجيب أن الصورة التاريخية الحقيقية طُمست ونُسيت، والصورة الخيالية بقيت وخُلِّدت.

فمن هو قراقوش..؟

هو أحد قواد بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي، كان من أخلص أعوانه وأقربهم إليه، وكان قائداً مظفراً، وكان جنديّاً أميناً، وكان مهندساً حربيّاً منقطع النظير.

وكان أعجوبة في أمانته، وقد وكّل صلاح الدين قراقوش بحفظ القصر الفاطمي، فنظر فإذا أمامه من عقود الجواهر والحلي النادرة والكؤوس والثريات والبسط المنسوجة بخيوط الذهب **ما لا مثيل له في الدنيا، هذا فضلاً عن العرش الفاطمي الذي كان من أرطال الذهب**، ومن نوادر اليواقيت والجواهر، ومن الصنعة العجيبة ما لا يقوّم بثمن.

وكان في القصر فوق ذلك من ألوان الجمال من الجواري المنحدرات من كلّ أمم الأرض، ما يفتن العابد..

فلا فتنه الجمال، ولا أغواه المال، ووفّى الأمانة حقّها، ولم يأخذ لنفسه شيئاً، ولا ترك أحداً يأخذ منها شيئاً.

ولما وقع الخلاف بين ورثة صلاح الدين وكادت تقع بينهم الحرب، ما كفّهم ولا أصلح بينهم إلا قراقوش.

هذا قراقوش، فمن أين جاءت تلـك الوصمة التي وُصم بها..؟! ومن الذي شوَّه هذه الصورة السويَّة...؟! إنّها جريمة الأدب يا سادة[1].

■ (رجال من التاريخ الجزء الأول، ص 88 ـ 90).

(1) إن تشـويه صورة الإسـلام ورجاله قديمة قِدم الإسـلام نفسـه، بسبب سوء الفهم المتعمد من قبل غير المسلمين، حتى أصبح هذا العمل (أي التشويه) مـن صميـم حيـاة الإنسـان الغربـي. ويؤكـد هـذه الحقيقـة القبيحـة العَالِم الفرنسي جوستاف لوبون حيث يقول في الصفحة 38 من كتابه وجهة العالم الإسـلامي: (لقد تجمعت العقد الموروثة، عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسـلام ورجالـه، وتراكمـت خلال قـرون سـحيقة حتى أصبحـت ضمن تركيبنا العضوي).

دمشق

دمشـق..! وهل توصَف دمشـق..؟ هل تصوَّر الجنة لمَن لـم يَرَهـا؟ مَـن يصفها وهـي دنيا من أحـلام الحـب وأمجاد البطولة وروائع الخلود؟

هذي دمشق، أقدم مدن الأرض وأجملها؛ هواؤها أطيب هواء، وماؤها أعذب ماء، وطعامها أمْرَأ طعام، ومنظرها أبهى منظر، ولسانها أفصح لسان، وسكانها من أكرم السكان. فيها العلم والأدب، والتقى والصلاح، وفيها الفُتون والجمال.

دمشـق أقدم مدن الأرض قِدَماً، وأكبرها سـنّاً، وأرسخها في الحضارة قدَماً. كانت عامرة قبـل أن تُولد بغداد والقاهرة وباريـس ولندن، وقبل أن تنشـأ الأهرام ويُنحَـت من الصخر وجهُ أبي الهول...

فيها كلّ ما في الدنيا من سهل وجبل، وبستان وقفر، وساقية ونهر، ومسجد وقصر، إلّا البحر. على أنك ترى حول البلد (أو كنت ترى) بحراً من الخضرة والنبت والشجر.

دمشق التي عرفتها وأنا صغير **ليست دمشق التي نراها الآن**؛ تبدلت دُورُها وحاراتها وأزياء أهلها وكثير من أعرافهم وأوضاعهم، ودخل الحديث عنها في باب التاريخ.

وفي الدنيا مدن كثيرة بارعة الجمال، ولكن دمشق (في نظر أهلها على الأقل) أجمل مدن الدنيا. **أو كانت أجمل بلاد الدنيا، فأفسدنا نحن ـ أهلها ـ جمالها.**

ولكن لا، فإن في دمشق خيراً كثيراً، لا يعرف خيرها إلّا من يعيش في غيرها.. ولن تموت دمشق الإسلامية بحول الله أبداً[1].

■ (دمشق، ص 7)

---

(1) عبر التاريخ وُصفت دمشق ومُدحت في العديد من الآداب العالمية من قبل الرحّالة، والشعراء، والروائيين، بعضهم أجانب مثل لامارتين والبعض الآخر عرب، ومدح دمشق في الأدب العربي يعود لما قبل الإسلام، وقد مدح حسان بن ثابت دمشق ببضع أبيات.
وأما أبرز من مدحها في الأدب القديم: البحتري وأبو تمام في الشعر، وابن جبير والمقدسي في أدب الرحلات. كما وضعت مؤلفات مستقلة في وصف دمشق مثل كتاب (النجوم الزاهرة في أخبار دمشق والقاهرة) وكتاب (نزهة الأنام في محاسن الشام).
من أشهر من مدح دمشق في العصر الحديث أحمد شوقي، ومحمود درويش، وسعيد عقل، وعمر أبو ريشة.

بغداد

في بغداد اتصل الشاطئان، وامتدت الدور، وتناثرت القصور، **وسكرت بغداد بخمرة المجد والجاه والعلم والفن والغناء والسرور**، وجاء العصر الذهبي، عصر هارون الرشيد الذي قال للسحابة لما رآها: أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك... والذي ملك ما لم يملك قبله ملك قط. وقام ليلة يصب الماء على يد العالم أبي معاوية الضرير بعد أن عشّاه معه على مائدته، فقال للعالم الضرير: أتدري من يصبّ الماء على يديك؟ قال: لا، قال: الخليفة العظيم هارون الرشيد: أنا.

فهل ترونه اضطرب العالم أو اهتز؟ لا والله، وبقي يغسل يديه وهو يقول: إنّما كرمت العلم يا أمير المؤمنين..

هكذا كان ملوكنا وهكذا كان العلماء.

لقد صارت بغداد أم المدن، وحاضرة الحواضر، وبلغت ما لم تبلغه روما في سلطانها ولا القسطنطينية ولا المدائن ذات الإيوان، لقد غدت سيدة العالم... وما يظهر في بلدة طريف ولا ظريف من ثمرات الأيدي، **ولا من نتاج الطبيعة، ولا من حصاد الأدمغة إلّا حُمل إلى بغداد، وما ينبغ من نابغ في مشرق من الأرض ولا مغرب إلّا أمّ بغداد.**

ولقد ماتت بغداد بني العباس، وذهب شبابها وامّحت محاسنها، وخربتها أيدي الوحوش البشرية **من جند هولاكو،** جاءت بهم خيانة الوزير ابن العلقمي فُذل الأعزة من أهلها، وانتهك المصون من أعراضها، وذبح علماؤها وكبراؤها وأمراؤها، وأعمل السيف في أهلها أربعين يوماً، فبلغ القتل أكثر من (مليون)، وألقيت كتبها في دجلة فاسودّت منه مياهها حيال الضفتين أياماً، وذهب نتاج العقول، وحصاد العبقريات، وثمرات أيدي الصناع، وكانت مصيبة المصائب على الإسلام وأهله، **وغدت بغداد خرائب وأطلالاً.**

فسلام على بغداد التي ستكتب قصّتها مرّة أخرى في صحائف القوّة والعلم والمجد[1].

■ (بغداد ذكريات ومشاهدات، ص 8 ـ 15)

(1) لبغداد مكانة كبيرة في ذاكرة الشعراء، وقد كتب عنها الكثير وروي الأكثر، مثلما تركت على مستوى العمارة والبناء ما يستحق أن يقال عنه الكثير، ولقد تغنى الأدباء ببغداد على طول امتداد عمرها منذ بناها الخليفة أبو جعفر المنصور، ومنهم المتنبي، المعري، أحمد شوقي، الكاظمي، الجواهري، الزهاوي.
ويعتبر المتحف البغدادي من أهم الصروح الثقافية التي تؤرخ لتراث بغداد في التاريخ المعاصر.

جاوة... قطعة من الجنّة

لست أعني جنّة الآخرة، وليست الشام ولا لبنان، ولا سويسرة، ولكن أعني جنّة الدنيا جاوة، من رآها فقد علم أني أقول حقّاً، ومن لم يرها لم يغنيه عن مرآها البيان، وليس الخبر كالعيان.

وإذا حقاً ما يقال من هبوط آدم في سيلان (سيريلانكا الآن) لانكشف سرّ ما هي عليه من جمال، ذلك أنّ آدم لما هبط كان في عطفيه بقايا من ريا الجنة، فمن هنا كانت تلك البلاد جنّة الأرض...

كانت نافذة القطار، كلوحة السينما ففي كلّ لحظة منظر جديد لا يشبه الأول، منها مناظر تنقلك إلى الهند فكأنك فيها، ومناظر تحملك إلى البصرة إلى طريق أبي الخصيب،

التي عدها ياقوت إحدى منتزهات الأرض الأربع، أو إلى بغداد، ومناظر تجد نفسك إذ تراها في الشام، في العين الخضراء وزحلة تارة، وتارة في صوفر أو بلودان..

وترى من تحتك جبالاً وأودية، لا يحصيها العدّ، كل جبل بلون، وكلّ واد على صورة والأنهار تتابع نازلة من الذرى، هادرة متكسراً ماؤها على أطراف الصخور، إلى قرارات الأودية...

ولقد عددت في ساعة واحدة سبعة وعشرين نهراً، ثم مللت العدّ، وكان القطار الكهربائي يقطع في الساعة أكثر من ستين كيلاً وقد قطعنا ثلاثمائة كيل، وما انقطع العمران أبداً، فالقرى متصلات لا تعلم أين تنتهي القرية وأين تبدأ جارتها، والبيوت كلها كبيوت الخشب التي يلعب بها الأولاد، سقوف مائلة من القرميد الملون الزاهي، على عمد من نوع من الخيزران، وهي في جاوة في كلّ مكان، والجدران من الحصير الملون أو الخشب الرقيق المنقوش، بيوتاً أنيقة حلوة لا تكلّف شيئاً..

ومـن أعجب مـا رأينـا أن القطـار كان يمرّ بنـا حيناً على جسر ممدود بين جبلين عاليين، فننظر من النافذة منظراً يدور منه الرأس سفوح تليها سفوح، وقرارات أودية لا يبلغ البصر مدّهـا، وكلّ مكان منهـا ومن الطريـق كله ممتلـئ بالزارعين والأطفال العاملين[1].

■ (صور من الشرق في أندونيسيا، ص 91 ـ 95)

(1) جـاوة هي جزيرة في أندونيسـيا وبهـا عاصمة البـلاد جاكرتا. تُعَـدُّ الجزيرة الأكثر اكتظاظاً بالسـكان في العالم وعدد سـكانها 127 مليون نسمة، أغلب سـكان جاوة (93٪) ديانتهم الإسـلام و(2 إلى 3٪) مسيحيون والباقي أديان أخرى كالبوذية.

قضية المسلمين

إن ضياع فلسطين جريمة ستحكم فيها محكمة التاريخ، حين تسقط قيود المنافع والمجاملات، وحُجب الجهل والغفلة، وينكشف الخفي ويفتضح المزور، عندئذ يستطيع التاريخ أن يحقق في هذه الأحداث، وأن يكشف ملابستها ويحدّد المسؤول عنها، **على أن المحكمة الكبرى هي التي تكون يوم الحساب**، بين يدي رب الأرباب، يوم لا تخفى عليه خافية، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا جند ولا أعوان.

إن النصر يكون بالعدد وإن كانت كثرة العدد لا تجدي إن لم يكن معها العِدد الكافية، والعدد والسلاح لا ينفعان إن لم يكن معهما العلم، وهذا كلّه لا يأتي إلا بالمال.

فهل ينقصنا نحن المسلمون العدد؟

وإذا كان العدد لا ينقصنا، وإذا كان ما عند المسلمين من

السلاح أكثر مما عند اليهود، وإذا كان مجموع العلماء من المسلمين، العلماء بالطبيعة وعلومها، أكثر مما عند اليهود، وإذا كنا معشر المسلمين جميعاً نملك من المال أكثر مما عند اليهود، فما الذي ينقصنا؟

إن الذي ينقصنا هو الإيمان، أن نكون مع الله حتى يكون معنا، أن نُدخل الإسلام في المعركة، فلا نجعلها معركة استرداد الأرض فقط، ولا نجعلها فلسطينية فقط، ولا عربية فقط، بل نجعلها إسلامية، **إنها قضية المسلمين جميعاً، وليست قضية العرب وحدهم**[1].

■ (ذكريات علي الطنطاوي، الجزء الخامس، ص 75 ـ 76)

---

(1) تمرُّ قضية فلسطين اليوم بمرحلة خطيرة في تاريخها الممتد والطويل، ويتصور أعداء الأمة العربية والإسلامية أن الوقت قد حان لحسم الصراع الشديد، وتصفية القضية، والحصول على تنازلات جديدة، تُنهي أمل ملايين اللاجئين في العودة إلى وطنهم، وبذلك يقدمها من لا يملك الحق في التنازل هدية لأعداء الأمة، الذين يستبيحون كل شيء من الدماء والأعراض والأموال، بعد أن استولوا على الأرض والمقدسات.

مجد العرب الحقّ

إنّ اللّص الذي ينام ويده على سلاحه لا يستطيع من الخوف أن يستسلم للمنام، فكيف يشعر اليهود بالأمن والاستقرار في فلسطين ونحن لهم بالمرصاد.

إنها ليست قضية أهل فلسطين وحدهم، ولا قضية العرب، لماذا تسمونها عربية، وفي العرب من لا يرى فيها رأيكم ولا يدين بدينكم.. ومن قد يكون هواه مع عدوكم، ولم لا تجعلونها إسلامية؟

إن أيدي المسلمين جميعاً تمتدّ إليكم لتكون معكم إن جعلتموها جهاداً في سبيل الله، ودفاعاً عن المسجد الأقصى، والأرض التي باركها الله حوله، فلماذا لا تصافحون هذه الأيدي فتصير مع أيديكم يداً واحدة على عدوهم وعدوكم.

يقـول الله تعالـى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمـد: 7] فالنصر مقـرون بطاعة الله، فلمـا بعدنا عنهـا، ابتعد النصـر عنا، حتى إذا عدنا فدنونا منها قليلاً في حرب رمضان سـنة 1973م، دنا منا...

ولما أصبـح هتافنـا (أمجـاد يا عـرب أمجاد) لـم تنتصر أمجاد العرب، لأن مجد العرب الحق وُلد يوم وُلد محمد..

فلما جاءهـم محمد ﷺ بالإسلام جعلهم به سادة الأرض وأسـاتذتها وجعـل منهـم مُثُـل البشـرية العليـا فـي الفضائل والمفاخر[1].

■ (قصتنا مع اليهود، ص 25 ـ 29)

---

(1) ستبقى قضية فلسطين حيّةً في نفوسـنا لا تموت، وسيبقى الحق الفلسطيني شامخاً بتضحيات أبناء فلسطين الأبرار.
عن أبي أمامـة قال: قال رسـول الله ﷺ: **(لا تزال طائفة مـن أُمتي على الحق ظاهرين، لعدوهـم قاهرين، لا يضرهم من خالفهـم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمـر الله وهم كذلك**، قالوا: يا رسـول الله، وأين هم؟! قال: **بيت المقدس وأكناف بيت المقدس)** رواه الإمام أحمد.

لا قوّة إلّا قوّة الحق

لقد اتضح الأمر وظهر الخبيء، وعلمنا أن الحارس لصّ والحامي غاصب، ولكن دمشق لم تمت... كلا، بل هي تدافع عن حقّها وتبذل مهجتها في سبيل حريتها. ولقد كاد ينفجر البركان، وإذا هو انفجر فسيحرق أعداء الحقّ فيبيدهم فلا يُبقى لهم أثراً.

لقد رأينا من هؤلاء الطلاب، الذين نخشى عليهم النسيم أن يؤذيهم، أسوداً يفتحون صدورهم للرصاص ويصيحون بخصومهم: اقتلونا، فعلى أجسادنا سيبنى استقلال[1] سورية..!

أما بعد، فهذا يوم العمل. هذا يوم يقف الشعبُ بحقّه وخصمه بباطله ليتنازعا، وقد تنازعا، ولكن الحقّ هو الله، والله أكبر.

---

(1) نالت سورية استقلالها في 17 نيسان 1946م وكان جلاء آخر جندي فرنسي عنها. «الناشر».

وإذا أتَونا بالصفـوف كثيرةً جئنا بصفٍّ واحدٍ لن يُكسرا

ذلك هو صـف أبناء الوطـن، صف يدعمـه الحق، صف يؤيـده الإخـلاص، صـف لا يهـاب المـوت فـي سـبيل الله والوطن..! ألا اعدوا ما شـئتم من قوّة، من رصاص ومدافع، من رشاشـات ودبابات، فسـنعُد صـدوراً تخفق فيهـا قلوب تفيض بالإيمـان، وتتفجـر بالوطنية، وترغب فـي التضحية.. وسنفتحها لكم.

لا قـوّة إلا قـوّة الحـقّ، ولا مجـد إلا مجـد التضحيـة، وسـيأتي يوم تزول فيه القـوة وتزول فيه الدولـة الظالمة، ولا يتبقى إلّا الحق...

فجاهدي يا دمشـق، وهـا هم رجالـك يجاهدون معك ويعرّضون أنفسـهم للموت دونك، وها هم أبناؤك الطلاب يحمونك بأرواحهم، وها هي تلك الأرواح الطاهرة، أرواح الشهداء، تخطب من السماء خطبة الوطنية والإخلاص.

إن هذه الدماء دفعة جديدة من ثمن الاستقلال، إنها أريقت لغسل صفحة الذل التي خطّها عليها الأقوياء..! والله معك، والله أكبر.

أيها الشهداء، هذه الجنّة قد أعدّت لكم فادخلوها آمنين.. إننا لن ننساكم أبداً، إنكم خالدون لم تموتوا، وياليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً..

ويا أخوان الشهداء وأهليهم، إنكم إن خسرتم إخوانكم وذويكم فقد ربحتم شرف التضحية، **قد كسبتم حمد التاريخ، قد بؤتم بثواب الله...** وكلنا إخوانكم وذووكم، إننا تجمعنا الآلام وتوحّد بيننا الضحايا، ألا فلنهتف جميعاً:

لا قوة إلا قوة الحق، ولا مجد إلا مجد التضحية، وعلى الشهداء السلام[1].

■ (كتاب البواكير، ص 196 ـ 197)

---

(1) لقد تدافع الناس من كل حدب وصوب لخوض معركة الكرامة ضد المستعمر الفرنسي، ضاربين بذلك أروع الأمثلة في التضحية، ففي معركة ميسلون استشهد ما يزيد عن 800 شهيد على رأسهم وزير الحربية يوسف العظمة.

يا للعار

يـا أيها النـاس: **ألا تشـعرون؟** أماتـت في قلوبكـم أخوّة الدين ورأفة الإنسـانية؟ إن في البلد نسـاء عاريـات جائعات وأطفالاً عراة جياعاً، خرجوا مـن ديارهم وطُردوا من بيوتهم وأصبحـوا مشـرّدين ضائعين، يتوسّـدون التـراب ويلتحفون السـماء، وأنتـم تنامـون علـى القطـن والصـوف والريـش، وتأكلون الحلو والحامض، وتضحكون وتطربون... **وتدّعون أنكم عرب مسلمون؟**

يا للعار!

يا أيها الناس: لا أقول لكم اذهبـوا فحاربوا، ولكن أقول سـاعدوا إخوانكم في الدين، فـي الإنسـانية. تداركوا الجياع قبل أن يموتوا جوعـاً، الحقوا العراة قبـل أن يهلكوا برداً. لا يقل واحـد منكم: «**أنـا لا يعنيني**». كل واحد منكم مسـؤول،

كل واحد بحسب طاقته. **ألم يبق في البلد مسلم؟ ألم يبق عربي؟** ألم يبق شريف؟ ألم يبق إنسان؟

أتأكلون وتشربون وتلعبون وتطربون وإخوانكم يموتون؟

يا للعار!

أما إنها والله ليست مسألة كلام يقال ولا مقالة تُكتب ولا خطبة تُخطب، **ولكنّها مسألة حياة أو موت**، فتباً لمن يرى أخاه يموت من البرد ولا يمدّ إليه يداً، وسُحقاً لمن يرى أخته تموت من الجوع ولا يقدّم لها رغيفاً. **إن من يفعل هذا ليس مسلماً ولا عربياً ولا إنساناً!**

لكن في بلادنا بحمد الله مسلمين وفيها عرباً وفيها ناساً، فلننظر ما يفعلون[1].

■ (هتاف المجد، ص 164 ـ 166)

---

(1) قال عليه الصلاة والسلام: (**يوشك أن تداعى عليكم الأُمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها**). قالوا: أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: (**إنكم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعن الله المهابة من صدور أعدائكم وليقذفن في قلوبكم الوهن**. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**). رواه أحمد والترمذي.

نحن المذنبون

نحن أعطيناهم هذا السلاح الذي قتلونا به، جاؤونا بالخمور تهري أمعاءنا، وتمزق أكبادنا، فشربناها ودفعنا الثمن، وجاؤوا بالكتولوجات فيها الأزياء العارية تذهب فضيلتنا، **وتفسد شبابنا وبناتنا**، فعملنا بها وتركنا لها قرآننا ودفعنا الثمن.

وجاؤونا بالراقصات وبنات الليل، يخربن بيوتنا، ويمرضن أجسامنا، ويسممن أرواحنا، فهبطنا على أقدامهن ودفعنا الثمن.

وجاؤونا بكل بلية فيها الأذى وفيها الهلاك، فدفعنا الثمن، فأخذوه فجعلوا منه دبابات وطيارات ثم أتوا فقالوا:

هذا لجيشكم الوطني... أليس جيشكم؟ قلنا: بلى، وهل في ذلك شك؟

قالوا: هاتوا ثمنه فدفعنا مرة ثانية...

نحن أعطيناهم الجنود الذين حاربونا بهم: أبناءنا، قلنا لهم خذوهم وخذوا بناتنا **فعلموهم في مدارسكم**، ونشئوهم على مبادئكم واستعمروا عقولهم كيف شئتم، فجعلوا من أبنائنا عدواً لنا...

فهل استيقظنا...؟ لا.

إذا لم توقظنا هذه المدافع المدويّة، إن لم ينبهنا لذع النار، فما والله يوقظنا شيء.

ملعونة فرنسا... ملعون كل من أعان على بلده عدواً...

لعنة الأمّ التي فجعت بوحيدها، واليتيم الذي أفقدوه أباه، والزوجة التي فقدت زوجها، والأسرة التي قتلوا ربها

وخربوا دارها، والتاجر الذي أحرقوا دكانه وسرقوا متاعه..، لعنة مغموسة بالدم مغسولة بالنار[1].

■ (مع الناس، ص 38 ـ 40)

(1) ولكن إصرار الشعب السوري على الصمود كان له الدور الرئيس في خلخلة الوضع الفرنسي في سورية والمنطقة بأكملها وتراجعه، وكذلك جعل الموقف الدولي يتحرك باتجاه إنهاء الوجود الفرنسي في سورية ولبنان، فقد أظهر الشعب السوري في هذه المواجهة بسالة منقطعة النظير، بإصراره على طرد المستعمر وتصفية قواعده بالكامل. هذا الموقف أقل ما يقال عنه إنه موقف وطني جهادي ضد المستعمر، الأمر الذي أدى في النهاية إلى تحقيق كل التطلعات السورية من نيل الاستقلال الفعلي والسيادة على الأرض.

التقدمية والرجعية

إن لكل عصر كلمات، يقبل عليها الشباب ويفتنون بها من غير بحث عن حقيقة معناها، كما يتلقف النساء (أعني بعض النساء) الموضات في الثياب، ويقلدنها... **ومثال ذلك التقدمي والرجعي.**

وقبل ألف سنة كان أسلافنا يركبون الإبل، لا يعرفون السيارات، ولا الطيارات، ويعيشون على السُروج، ومصابيح الزيت، ولكنهم كانوا سادة الدنيا، وكانوا أعزَّ الأمم. فإذا قالوا: (**إنهم رجعيون**).

فإننا، نفتخر بأننا من أولئك الرجعيين. لكننا لا نريد الرجعة إلى عهود الاستعمار، ولا إلى أيام الانحطاط والتأخر، بل نريد الرجوع إلى العهد الذي كنّا فيه ملوك الأرض، وكنّا أساتذة العالم، وكان في أيدينا صولجان الحكم، وكان في أيدينا منار العلم... نحن نريد أن نعود إلى

هذه الحياة؛ هذه هي رجعتنا التي لا ننكرها بل نفتخر بها، قد عرفناها ووضَّحناها...

فما هي تقدميتكم يا أيها السادة التقدميون؟

هل معناها، التقدم من أهل الغرب وتقليدهم في كل شيء، بل تقليدهم في الشرِّ الذي يشكون منه، ويتمنون الابتعاد عنه؟ وأن نهمل عقولنا، ونترك شرع ربنا، ونتبرأ من آبائنا وأجدادنا، ونمشي وراء الغربيين فنقول بمقالهم، ونفعل فعلهم، فإن كشفوا العورات كان سترها رجعية، وإن أعلنوا الزنا كان إعلانه تقدمية، وإن لبسوا السراويل في أذرعهم، والمعاطف في أرجلهم، أو قعدوا على الأرض، وأجلسوا الكراسي فوقهم، أو أكلوا الحساء (الشوربة) بالشوكة، والبطيخ بالملعقة، فقد وجب في شرعة التقدمية أن نفعل فعلهم وإلا كنا رجعيين..؟!

إذا كان هو المراد بالتقدمية فتشجعوا وقولوه، ولا تدعونا نفهمه من خلال السطور ومن بين الكلمات[1].

■ (فصول في الدعوة والإصلاح، ص 9 ـ 14)

(1) إن الغزو الثقافي بشقيه الشيوعي والصليبي يمتد في فراغنا...! فهناك فراغ حقيقي في النفس الإسلامية المعاصرة، لأن تصورها الإسلامي طفولي وسطحي يستقى من عهود الاضمحلال العقلي في تاريخنا.
يقول الداعية محمد الغزالي رحمه الله (هناك أفكار وتقاليد ومسالك خاصة وعامة تنتشر بين المسلمين، والحق أن الإسلام بعيد عنها أو لعله ينكرها ويعترض مسارها).

نساؤنا ونساء الغرب

لا يا سيدتي، لا تظني أن نساء الغرب أسعد عيشاً أو أعز أو أكرم، لا والله، ليس في الدنيا أعزّ ولا أكرم من نسائنا.

إن الزوج عندنا لامرأته.. لا لخليلة ولا لصديقة، والمرأة لزوجها لا لعاشق ولا لرفيق، له وحده، لا تتكشف لغيره، ولا يطلع عليها سواه...

فهل هذا هو عيبها عند هؤلاء المقلدين..؟

هل يريد أحدهم أن تكون امرأته له ولغيره..؟

هل يغضب أن تُرك له صحنه، ليأكل منه وحده، ولا يرضى حتى يأكل بصحن تقع فيه كل الأيدي..؟

أيكون الطهر عيباً، والعفاف عاراً، والخير شراً، والنور ظلاماً..؟

حسبنا تفكيراً برؤوس غيرنا، حسبنا نظراً بعيون عدونا، حسبنا تقليداً كتقليد القرود ولنعد إلى أنفسنا إلى عروبتنا وإسلامنا، إلى طهرنا وعفافنا[1].

■ (مع الناس، ص 129)

(1) إن الإعلام الغربي يحاول أن يُظهر نساءنا بأبشع الصور، وذلك بالاشتراك مع بعض المحطات والمؤسسات الإعلامية العربية التي ليس لها هدف غير جمع المال ونشر الرذيلة، فوجدنا بعض الأصوات تعلو من داخل هذه المؤسسات العربية، تطالب بحقوق المرأة وحريتها، وحتى اليوم لم نفهم ما هي تلك الحقوق التي يطالبون بها.
إنها سياسة دس السم في العسل، فمن خلال الحقوق الوهمية، ستبدأ المصائب وتنحرف المرأة عن الهدف الذي من أجله خُلقت، فتجد نفسها في نهاية المطاف وقد تحولت إلى سلعة تُباع وتُشترى في أسواق الرأسمالية العالمية.

دعوهم وما يقولون

إن قالـوا: «جامدون» فقولـوا: نعم، نحن جامـدون وأنتم مائعـون! إن المـاء الجامد كقطعـة الألماس التي يبتسـم فيها النور، وتقبلها شـفاه الشـمس، أما المائع فيجري حتى يكون وحلاً تطؤه الأقدام..

وإن قالـوا: «رجعيـون» فقولوا: نعـم، ولكنهـا رجعة إلى أيام المجد الذي شدناه على قمة الدهر، والنور الذي أضأناه للزمان؛ ليعرف طريقه إلى الخلود.

وإن قالـوا: «نحـن تقدميـون» فقولـوا: نعـم، ولكنكم لا تتقدّمون إلّا إلـى الهاوية، هاوية الانحلال والفسـاد، تريدون أن تكونوا أحراراً في غرائزكم، كحرية الديكة والحمير.

وإن قالـوا: «الـروح الرياضيـة» فقولـوا: نعـم، ولكـن رياضتكم جسد مكشـوف بلا روح، والرياضة رياضة النفس قبل رياضـة الجسـم، وروحها التعـاون بإخـلاص، والإقرار

بالحـقّ، وأن لا يزدهيـك النصر، ولا تحطمـك الهزيمة، ولا يداخلك اليأس، وأن يكون عليك من نفسك رقيب يحاسبها قبل أن تحاسب. وإن قالوا: «المساواة بين الجنسين» فقولوا: نعم، وسوف نَسُنُّ قانوناً يوجب أن يحبل الرجل مرة، وتحبل المرأة مرة، ويرضع سـنة، وترضع هي سنة، وبذلك يتساوى الجنسـان، ويجتمع النقيضـان، فيصير الرجل امـرأة، وتصير المرأة رجلاً، ويتحقق ما تريده الجمعيات النسائية!

ومهمـا قالوا من أشـباه هذا الهـذر، فلا تبالـوه، واجعلوا ردَّكـم عليهم هزأ به وسـخرية بأهلـه، وأن تبقوا سـائرين في طريقكم إلـى غايتكم، فإنهم ما يقصـدون إلا تعويقكم عنها، وإقامة الأشواك في سبيلكم إليها...

إنهم لا يملكون إلا أن يقولوا فدعوهم وما يقولون.

■ (فصول في الدعوة والإصلاح، ص 51 ـ 53)

الغني والفقير

إن الفقير الذي ينام في كوخ الطين، يأكل خبز الشعير، ويمشي بالحذاء البالي، أو يركب عربة النقل التي يجرها الحمار، يتصور أنه لو نام يوماً على فراش الغني، أو أكل على مائدته، أو ركب في سيارته، لنال اللذائذ كلها..

ولكن الغني الذي أَلِف ذلك لم يعد يجد فيه لذة، بل يجد الألم إن فقد منه شيئاً..

إن لذَّات الدنيا مثل السراب، ألا تعرفون السراب؟

تراه من بعيد غديراً فإذا جئته لم تجد إلا الصحراء..

فهو ماء ولكن من بعيد![1].

■ (صور وخواطر، ص 9)

(1) الفقر من أقدم المشكلات الإنسانية في المجتمع، والإسلام ينكر الفقر أشد الإنكار، ويجعل الغنى نعمة من نعم الله التي أنعم بها على عباده، ويطالب بشكرها. ويجعل الفقر مشكلة يستعاذ بالله منها، ويطالب المجتمع والأفراد بالعمل على إيجاد حلول لها.
وقد صح في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (**نِعْمَ المال الصالح، للعبد الصالح**). الأدب المفرد للبخاري.

كل شيء للناس

يجب... أن يكون قيامك وقعودك وأكلك ولبسك وفرش بيتك ونفقات يومك كما يريد الناس أن تكون، **ولو اختنقتَ حساً ومعنى**، ولو نُكبت في سعادتك وفي مالك، ولو احترق نَفَسُك، وإلا انتقدك الناس...!

الناس... دائماً الناس! فيا أيها الناس، متى نعيش لأنفسنا؟

ومتى نستطيع أن نقف عند حدّ الشرع وحدّ العقل..؟ ومتى يخرج فينا العقلاء الأقوياء الذين يكسرون هذه القيود..؟

أمّا أنا فوالله ما أبالي هذا كله، ولكن أعظ من شاء أن يتعظ:

أن يتبع دينه أولاً فلا يأتي محرماً، ثم يتبع العقل، ثم يعمل ما يراه خيراً **ويمدّ رجليه على قدر لحافه** وينفق النفقة الضرورية ويترك التبذير ولو كان أغنى الأغنياء.

ولا تخشوا قول الناس ما دمتم لم ترتكبوا محرماً ولا ممنوعاً شرعاً.

وهل عند الناس إلا أن يقولوا..؟!

لقد قالوا عن محمد ﷺ:

مجنون وقالوا: ساحر، وقالوا: كذّاب.

فليقولوا عنكم ما شاءوا، ولا تبالوا بسخطهم إن كنتم قد أرضيتم الله[1].

■ (مع الناس، ص 45)

---

(1) إن رأي الآخرين فيك، لا ولم ولن يدل عليك، وذلك لأن هذا الرأي يكون مبنياً على قيم ونظام وتفكير هؤلاء الآخرين، لا قيمتك أنت ولا تفكيرك أنت، ولا مفهومك أنت. فأنا وأنت والجميع معجزة من الله سبحانه وتعالى، فكيف لشخص أن يحكم على شخص آخر ليحدد نمط حياته وطريقة تفكيره، إن ذلك لا يصح.

كلنا نموت

هل سمعتم بفتاة كانت فتنة القلب وبهجة النظر، تفيض بالجمال والشباب، وتنثر السحر والفتون، تُبذل الأموال في قبلة من شفتيها المطبقتين كزر ورد أحمر، وتراق الكبرياء على ساقيها القائمتين كعمودين من المرمر، جاءت عليها لحظة فإذا هي قد آلت إلى النتن والبلى، ورتع الدود في هذا الجسد الذي كان قبلة عُبّاد الجمال، وأُكل ذلك الثغر الذي كانت القبلة منه تشترى بكنوز الأموال...

هل قرأتم في كُتب التاريخ عن جبار كانت ترتجف من خوفه قلوب الأبطال، ويرتاع من هيبته فحول الرجال، صار جسده تراباً تطؤه الأقدام، وصار قبره ملعباً للأطفال، أو (لقضاء الحاجات)...

هل مررتم على هذه الأماكن، التي فيها النباتات الصغيرة، تقوم عليها شواهد من الحجر، تلك التي يقال لها المقابر..؟

فلماذا لا تصدقون بعد هذا كلّه، أنّ في الدنيا موتاً؟

لماذا تقرؤون المواعظ، وتسمعون النذر فتظنون أنها لغيركم؟ وترون الجنائز وتمشون فيها فتتحدثون حديث الدنيا، كأنكم لن تموتوا كما مات هؤلاء الذين تمشون في جنائزهم، وكأن هؤلاء الأموات ما كانوا يوماً أحياء مثلكم، في قلوبهم آمال أكبر من آمالكم!

فاذكروا الموت لتستعينوا بذكره على مطامع نفوسكم، وقسوة قلوبكم، اذكروه لتكونوا أرق قلباً وأكرم يداً، وأقبل للموعظة، وأدنى إلى الإيمان.

ولا تقل أنا شاب... ولا تقل أنا عظيم... ولا تقل أنا غني...

فإن ملك الموت إن جاء بمهمته لا يعرف شاباً ولا شيخاً، ولا عظيماً ولا غنياً ولا فقيراً... ولا تدري متى يطرق بابك بمهمته!![1]...

■ (مقالات في كلمات، ص 240 ـ 242)

(1) قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: 34].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: 30].

مهما بذل الإنسان من أسباب الصحة والنشاط فهو ميت، وأينما كان فإن الموت يدركه، وحيثما فرّ من الموت فإنه سيجده مقابل وجهه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ [الجمعة: 8].

طريق الجنّة وطريق النار

إذا كنت مسافراً وحدك فرأيت أمامك مفرق طريقين: طريقاً صعباً صاعداً في الجبل، وطريقاً سهلاً منحدراً إلى السهل. الأول فيه وعورة وحجارة منثورة، وأشواك وحفر، ويصعب تسلقه، ويتعسر السير فيه، ولكن أمامه لوحة نصبتها الحكومة، فيها: إن هذا الطريق على وعورة أوله، وصعوبة سلوكه، هو الطريق الصحيح، الذي يوصل إلى المدينة الكبيرة والغاية المقصودة.

والثاني معبد، تظلله الأشجار ذوات الأزهار والثمار وعلى جانبيه المقاهي والملاهي فيها كلّ ما يلذ القلب، ويسرّ العين، ويشنف الأذن ولكن عليه لوحة فيها: إنه طريق خطر مهلك، آخره هوة فيها الموت المحقق، والهلاك الأكيد.

فأي الطريقين تسلك...؟

لا شك أن النفس تميل إلى السهل دون الصعب، واللذيذ دون المؤلم، وتحب الانطلاق وتكره القيود، هذه فطرة فطرها الله عليها، ولو ترك الإنسان نفسه وهواها، وانقاد لها، سلك الطريق الثاني، **ولكن العقل يتدخل**، يوازن بين اللذة القصيرة الحاضرة يعقبها ألم طويل، والألم العارض المؤقت تكون بعده لذة باقية، **فيؤثر الأول**...

هذا هو مثال طريق الجنّة وطريق النار[1].

■ (تعريف عام بدين الإسلام، ص 13 ـ 14)

---

(1) الجنة هي حياة الآخرة، حياة ما بعد الموت وهي المكافأة العظيمة، والثواب الجزيل، لكل من عمل صالحاً في الحياة الدنيا.
قال رسول الله ﷺ: **(موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها)** صحيح البخاري.

حياة الصحراء

يوجز تاريخها في كلمتين اثنتين هما: الحب والحرب.

فليلها للحب، ونهارها للحرب، حرب مع الشمس اللاهبة، والرمال المُشتعلة...، وحرب مع الناس، فإذا أدركك المساء؛ ولا يدرك مساءها إلا كل بطل صبار قوي متين، تفتح للحب قلبك، فأحسست فيه بشوق إلى الهيام؛ كشوق الظمأن إلى الماء الزلال..

لقد نقت ليالي الصحراء نفسي، وعلمتها الشعور بجمال القبح، وأُنس الوحشة، وأغاني الصمت؛ فعرفت جمال الكون...

كما صهرت أنهار الصحراء عزيمتي، فألقت عن نفسي الخوف والجبن والضعف والتردد، وأشعرتها عظمة الطبيعة وقوتها، فشعرت بعظمة الطابع.

الصحراء مبسوطة مكشوفة؛ كالرجل الصريح الشريف، ظاهرها كباطنها، لا تخفي سراً، ولا تبطن دون ما تظهر أمراً، وهي ليست كالمدن...

إن الله حرم الصحراء رواء المدن، وروعة السهول، وفتنة الأنهار؛ ولكنه أعاضها عن ذلك ما هو أحلى وأسمى، جمال الصدق، وبهاء الصراحة، وسنا الإخلاص.

ولست أستطيع أن أُترجم ما لليالي الصحراء من معنى في نفسي؛ ويا ليتني أقدر أن أصف تلك الكائنات الخفية التي تعيش في ليالي الصحراء، فتُخاطب القلوب بما لا تنقله الأقلام[1].

■ (من نفحات الحرم، ص 98 ـ 100)

---

(1) للصحراء في العين مجتلى ومتعة، وللنفس فيها راحة وروحانية، وللفكر انبعاث وإبداع، وتجديد. وقد عرف العربي الصحراء قبل أن يعرف غيرها من البيئات، وعاش فيها وكان لها الأثر الكبير في إبداعه في الشعر والنثر.

يوم العيد

أرأيتم الجيش يوم العرض؟ حيثُ يَمرُّ الجنود متتابعين متشابهين، مشيتهم واحدة، ولبستهم واحدة، لا يَمتاز فرْدٌ منهم عن فرْدٍ، ثمَّ يأتي ضابطٌ أو رئيس، يَختال، في مشيته، ويُزْهي بأوْسِمَته، فينتبه النّاس إليه، وتنصب الأنظار عليه؟

كذلك الأيام، إنّها تَمُرُّ متتابعة ومتشابهة، لا يكادُ يَختلِف يوم منها عن يوم، **ثمَّ يأتي العيدُ فتراه يوماً ليس كالأيام**، وترى نهاره أجمل، وتحسّ المتعة به أطول، وتبصر شمسَه أضوَأ، وتَجدُ ليله أهنأ، وما اختلفتْ في الحقيقة الأيّام في ذاتها، ولكن اختلف نظَرُنا إليها، نسينا في العيد متاعِبَنا فاستَرَحْنا، وأبعدنا عنّا آلامَنا فهنِئنا، وابتسمْنا للنّاس وللحياة فابتسمتْ لنا الحياة والنّاس...

والأعياد إمّا أن تكون **أعياداً للدين**؛ لذكريات دينية، تتصل بالعقيدة، وتنبثق عن الإيمان، وإما أن تكون **أعياداً وطنيّة**، ذكريات أحداث جسام كان لها في حياة الأُمة أثر، أو معارك مظفرة، أو أعمال لهذه الأمة باهرة، كأعياد الاستقلال، وأعياد إقامة الدول. وأعياد للفن والرياضة، وأعياد هي مواسم للطبيعة، كأعياد الربيع مثلاً.

والإفرنج يمزجون هذه الأعياد كلها، مزيجاً عجيباً، فلا يخلو عيد الدين كيوم مولد المسيح عليه السلام من أن يبدأ بالكنيسة، وينتهي في الملهى، ولا يَخلو عيد الوطن من مظاهر الدين، وكلُّ شيء عندهم يدخل فيه الدين، حفلات تتويج ملكة الإنجليز تكون في الكنيسة، وتتمُّ على يد الأسقف الأكبر، وحفلة الربيع يباركها الخوري، وكل شيء لا بدَّ له من هذه البركة.

وأعيادنا لله أوَّلاً؛ لأنها أعياد عبادة وتبتُّل، وتوجُه إلى الله بالشكر والحمد، والطلب والرجاء. **وهي للوطن،**

(ووطن المسلم كلُّ أرضٍ تعلو فيها كلمة الله وتحكم شريعته).

■ (مع الناس، ص 191 ـ 195)

العبقري والنابغة

إن بشّـار عبقري، ومروان بن أبي حفصة نابغة، ومن قبله كان امـرؤ القيس عبقريـاً، وزهير نابغـة، ومن بعـده أبو تمام عبقري، والبحتري نابغة، والمتنبي عبقري، وأبو فراس نابغة، شوقي عبقري، وحافظ إبراهيم نابغة.

إن العبقري يشـقّ طريقـاً جديداً، والنابغة يسـلك الطريق المعروف، ولكنه يجيء سـابقاً فـي أول الركـب، وقد يكون الطريق الجديد الذي كشـفه العبقري وعـراً أو ملتوياً، لذلك كان من صفات العبقري أنه يسـبق حتى ما يتعلق أحد بغباره وقد يتعثر ويتأخر، يعلو وينخفض...

والنابغة يسـير بسـرعة واحدة غالباً، لا يسبق سـبقاً بائناً، ولا يتخلف تخلفاً شائناً.

■ (ذكريات علي الطنطاوي، الجزء الرابع، ص 7)

نقد

قرأتُ في مجلة من نحو أسبوع هذه الكلمة أنقلها بنصها...

وإن كنت أكرم قلمي عن أن يخط مثلها:

(إنني قرأتُ في عدد من أعداد المجلة قصيدة عمودية للأستاذ الحيدري، والواقع أنني لم أعجب بهذه القصيدة، ولم أكن أتصور أن شاعراً كبيراً كالحيدري سيعود إلى مثل هذا الشعر الذي كان شائعاً في العشرينات من هذا القرن).. انتهى

هل كنتم تظنون أن يأتي على الناس يوم يخجل فيه واحد منا أن نعود إلى شعر العشرينات يقصد (العشرينيات) من هذا القرن؟

أي إلى شعر شوقي وحافظ، ومن قبلهما البارودي؟

فهل ترونه يرضى لنا أن نعود إلى شعر أبي تمام والبحتري، فضلاً عن جرير والفرزدق، فما بالك بعودتنا إلى شعر النابغة وزهير ولبيد؟

أيُريد بخمسة أسطر في هذه المجلة أن يمحو خمسمئة ألف بيت من الشعر قيلت في ألف وستمئة سنة من عمر الدهر؟

إن للشعر معنًى محدداً، وصورة ثبتت في أذهان الناس، من أيام (الأفوه الأودي) الذي كان يعيش كما قالوا على عهد سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، إن الشعر عندنا لا يمشي إلا على ساقين من الوزن والقافية، فإن فقد إحداهما مشى على العكاكيز، وإن فقدهما صار شعراً كسيحاً، لا يتحرك إلّا على كرسي ذي دواليب.

■ (ذكريات علي الطنطاوي، الجزء الثامن، ص 333)

على عتبة الأربعين

لقد كان أكبر أملي يوم كنت في الابتدائية أن أكون معلماً وكنت أتوهّم حياة المعلم فأجدها جنّة أنزلت الأرض فيها ما تشتهي الأنفس، أليس المعلم يأمر فيطاع أمره، فلما صرت معلماً، لم أجد من تلك الجنّة إلّا أرضاً موحلة ما فيها إلّا الأشواك.

إن متع الدنيا أوهام، من لم ينلها تشوق إليها وحسد عليها، ومن نالها ملها وتمنى غيرها: المتزوج يتمنى العزوبية، والعزب يشتهي الزواج، والمقيم يرجو السفر، والمسافر يطلب المعاد و و و ...

ونحن كلنا أطفال، تشتري للطفل اللعبة النفيسة فيفرح بها ويهش لها، ثم يلقيها ويطلب غيرها، ولو كان دونها. ثم إن الآمال لا تنتهي، فمن أعطي المليون، ابتغى المليونين،

ومن رفع في الوظيفة درجة طلب درجتين، فلا يزال في شقائين، شقاء بالحاضر الذي لا يقنع به، وبالآتي الذي لا يصل إليه...

أفلهذا وجدت وسعيت أربعين سنة أسعيتُ لأدرك السراب.

وعاودني الضيق الذي طالما كاد يدفعني (لولا خوف الله) إلى طلب الموت من سنين، وما أشكو المرض فصحتي جيدة ولا أشكو الفقر فما أجد من المال يكفيني، **وإنما أشكو فراغاً في النفس لا أعرف مأتاه، وقوى فيَّ لا أجد لها مصرفاً، وحنيناً إلى شيء غامض لا أدري ما هو على التحقيق**[1].

■ (من حديث النفس، ص 245 ـ 246)

---

(1) لسن الأربعين ميّزة خاصة، فهي سن النبوة وإكتمال الحكمة والعقل، وفي هذه المرحلة يزداد الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والإيمان بقضائه وقدره، والبحث عن السمو الروحي والنفسي والجسدي، وكلما كان الفرد المسلم أكثر إيماناً وتفاؤلاً، كان أكثر تأقلماً مع متطلبات الحياة الدنيوية والتي من خلالها سيصل إلى هدفه الأكثر عمقاً وهو الجنة.

صورة الطنطاوي بقلمه

يجمع في نفسه المتناقضات... فبينما هو منغمس في لج الحياة المضطربة المائجة، يفزع من الوحدة، ويكره الهدوء، ويركب متن المغامرات في الأدب وفي السياسة، يخطب في المجامع، ويناقش في الصحف، وبينما هو مطمئن إلى هذه الحياة مقبل عليها، إذا به قد استولت على نفسه... (**فكرة صوفية**) فغمرت الكآبة روحه، وفاض اليأس على قلبه، وأحسّ الحاجة إلى الفرار من الناس، والرغبة في العزلة المنقطعة، وأصبح يكره أن يرى أمسَّ أصحابه به، وأدناهم إلى قلبه، ويحب الحياة الهادئة، ويجد الأنس في حديث قلبه ومناجاة ربه.

هو أسرع الناس إلى المراح والفُكاهة، وأضيقهم بمجالس الجد، وأبعدهم عن تكلف الوقار وإتباع (الرسميات)..

تغلب عليه العاطفة حيناً فيمسي أرق الناس شعوراً وأرهفهم حسّاً..

ويسيطر عليه العقل أحياناً فيحتقر العاطفة ويدعو إلى أدب قوي نافذ..

إنه رجل شاذ الطباع متناقض العواطف، إن لجأ إلى عقله ثارت عاطفته، وإن أتبع عاطفته أبى عقله...

لا يفهمه أحد، ولا يفهم هو نفسه...![1]

■ (من حديث النفس، ص 105 ـ 110)

---

(1) أقول: كأنه قبضة من الشام عُجنت بنهر النيل والفرات، لوحتها شمس صحراء العرب، فانطلقت بإذن ربها نفساً عزيزة أبية، تنافح عن الدعوة وتزود عن حياض الدين، ذلكم هو العلّامة الكبير، والفقيه النجيب، والأديب الأريب علي الطنطاوي.

المراجع

1 ـ **أبو بكـر الصديق**: علي الطنطـاوي، دار المنـارة، جدة، 1986م.

2 ـ **أخبار عمر**: علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1983م.

3 ـ **بغداد ذكريات ومشاهدات**: علي الطنطاوي، مطابع دار الفكر، دمشق، 1960م.

4 ـ **تعريف عام بدين الإسلام**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1989م.

5 ـ **دمشـق صور من جمالها**: علي الطنطـاوي، دار المنارة، جدة، 1997م.

6 - **ذكريات علي الطنطاوي**، الأجزاء 1/ 8، دار المنارة، جدة، 1985م.

7 - **رجال من التاريخ** 1/ 2: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1998م.

8 - **روائع الطنطاوي**: إبراهيم مضواح الألمعي، دار المنارة، جدة، 2000م.

9 - **الشيخ الأعجوبة علي الطنطاوي**: د. حيدر الغدير، 7/ 5/ 2012م (مقالة).

10 - **صفحة جمعية الإرشاد والإصلاح الخيرية الإسلامية**، بيروت، لبنان، مقالة في 30 يناير 2014م،

11 - **صور وخواطر**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1998م.

12 - **صور من الشرق في أندونيسيا**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1992م.

13 ـ **فصول في الدعوة والإصلاح**: علي الطنطاوي، جمع وترتيب مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة، جدة، 2008م.

14 ـ **فصول إسلامية**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1990م.

15 ـ **فصول في الثقافة والأدب**: علي الطنطاوي، جمع وترتيب مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة، جدة، 2007م.

16 ـ **فكر ومباحث**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1988م.

17 ـ **في سبيل الإصلاح**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1996م.

18 ـ **قصص من الحياة**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 2011م.

19 ـ **قصص من التاريخ**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1995م.

20 ـ **قصتنا مع اليهود**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1990م.

21 ـ **كتاب البواكير**: علي الطنطاوي، جمع وترتيب مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة، جدة، 2009م.

22 ـ **مجلة موقع الإسلام اليوم**: 15 ربيع الأول 1422، 7/ 6/ 2001م.

23 ـ **المجتمع**: تراجم، تاريخ: 15/ 7/ 2006م. (مقالة)

24 ـ **مع الناس**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1996م.

25 ـ **مقالات في كلمات**: علي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق، 1984م.

26 ـ **من حديث النفس**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 2011م.

27 ـ **من نفحات الحرم**: علي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق، 1980م.

28 ـ **من غزل الفقهاء**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1988م.

29 ـ **هتاف المجد**: علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، 1996م.

30 ـ **يا ابني**: علي الطنطاوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1985م.

31 ـ **يا بنتي**: علي الطنطاوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1985م.

الفهرس

هذه الصفحات 5

المقدمة 7

في الحب... 18

الحبّ والجمال 20

ماذا يريد العاشقون..؟ 22

الحب والزواج 25

غزل الفقهاء 27

السعادة 29

أمي وأبي 32

زوجتي 36

يا ابني 38

يا بنتي 40
أبناؤنا وتحمّل المسؤولية 43
العطفُ قبل المال 45
الإيمان سبيل الاطمئنان 47
الأمانة 49
طريق التغيير 52
اعرف نفسك 54
متى نثق بأنفسنا..؟ 57
المستقبل 59
على أبواب الثلاثين 61
لماذا نضيق بالزمن؟ 64
خداع وسراب 66
نحن المسلمون 69
اقــرأ 72
بنت الأصل 74

لغتكم يا أيها العرب 76
المُطالعة 79
لون من الترف العقلي 81
المُعلم 83
الاستطراد 85
عظمة محمد ﷺ 87
أبو بكر رضي الله عنه 89
عُمر رضي الله عنه 91
شيخ من دمشق 93
قراقوش المسكين 96
دمشق 99
بغداد 102
جاوة... قطعة من الجنّة 105
قضية المسلمين 108
مجد العرب الحقّ 110

لا قوّة إلّا قوّة الحق 112
يا للعار 115
نحن المذنبون 117
التقدمية والرجعية 120
نساؤنا ونساء الغرب 123
دعوهم وما يقولون 125
الغني والفقير 127
كل شيء للناس 129
كلنا نموت 131
طريق الجنّة وطريق النار 134
حياة الصحراء 136
يوم العيد 138
العبقري والنابغة 141
نقد 142
على عتبة الأربعين 144

صورة الطنطاوي بقلمه.....146

المراجـع.....149